سلسلة الآداب الإسلامية

من مشاهد يوم القيامة

لأبي عبد الرحمن
د. محمد بن محمود بن إبراهيم عطية

مؤسسة الجليمي للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى لمؤسسة الجليمي

١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م

الطبعة الأولى

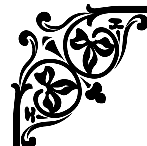
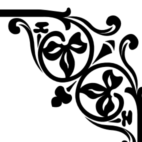
رقم الإيداع:	٢٠١٥/١١٠٧٩
الترقيم الدولي:	I.S.B.N: ٩٧٨-٩٧٧-٨٥١٩٣-٢-٧

مؤسسة الجليمي للنشر والتوزيع

٨١ شارع البستان (عبد السلام عارف سابقًا)- تقاطع شارع الجمهورية- عابدين- القاهرة

محمول: ٠١١١٩٩٠٣٨٣٥ - ٠١٠٠٦٧٥٦٧٣٩

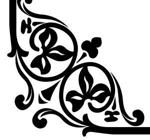
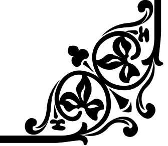
هاتف: ٠٢/ ٢٣٩٣٥١٩٠ - القاهرة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ١١ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ﴾

[سورة المطففين]

بين يدي الرسالة

طويلة.. طويلة.. هذه الحياة الدنيا في فهم كثير من الناس، ولكنهم حين يكشف عنهم الغطاء يوم القيامة نراهم ينظرون نظرة أخرى.. إنهم ﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيۡنَهُمۡ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا عَشۡرٗا﴾ [طه: ١٠٣]؛ والله تعالى أعلم بما يتخافتون به: ﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذۡ يَقُولُ أَمۡثَلُهُمۡ طَرِيقَةً إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا يَوۡمٗا﴾ [طه: ١٠٤]؛ وعندما يُسألون: ﴿كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ [المؤمنون: ١١٢]، يكون جوابهم: ﴿لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ﴾ [المؤمنون: ١١٣].

بل إن المجرمين هنالك يقسمون على أنهم ما لبثوا غير ساعة، قال الله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ سَاعَةٖۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤۡفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ وَلَٰكِنَّكُمۡ كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعۡذِرَتُهُمۡ وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ﴾ [الروم: ٥٥- ٥٧].

إن الغفلة عن اليوم الآخر، وعدم الاستعداد له، هي التي أوقعت هؤلاء فيما وقعوا فيه؛ والناس تجاه اليوم الآخر أصناف: مؤمنون وكافرون، فحال الكافرين والمنافقين هو ما ذكرنا، وقد يشاركهم في بعض الأحوال أهل الغفلة ممن له إيمان؛ فبعض من يدعي الإيمان باليوم الآخر حاله يكذب مقاله.

ولما كان الأمر جدًّا لا هزلًا، وكان من دعوة الرسل: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ٥٩]، وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]؛ كانت هذه الرسالة تذكيرا للغافل، ومعونة للعاقل.

المؤلف

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

إنَّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليمًا.

أما بعدُ:

فمن أصول الإيمان الذي لا يصح إيمان عبد إلا به: الإيمان باليوم الآخر وما يشتمل عليه، فالساعة حق، ومجيئها حتم، ﴿ يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلِۢ بَعِيدٍ ﴾ **[الشورى: ١٨]**.

والحديث عن اليوم الآخر حديث عن العدل المطلق؛ لأنه اليوم الذي ترد فيه الحقوق إلى أهلها، ويقتص فيه من الظالم للمظلوم، ومن الحاكم للمحكوم، ومن القوي للضعيف؛ يومٌ ليس فيه رشوة، ولا واسطة، ولا شفاعة لظالم، ولا ملك لأحد

إلا لله تعالى: ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [غافر: ١٦، ١٧].

يومٌ يتمنى الظالم أن لم يكن ظلم، ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠].

واليوم الآخر هو ذلك اليوم الذي يجمع الله فيه الأولين والآخرين، ليوقفوا في مشهد مهيب رعيب في انتظار الفصل بينهم، ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

يومٌ تدنو فيه الشمس من الرؤوس، ويبلغ العرق فيه عند بعض العباد إلى الآذان، وينسى فيه الخليل خليله، ويفر فيه الحبيب من حبيبه: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤- ٣٧].

يومٌ تنكس فيه رؤوس المجرمين ﴿خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ

يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ [الشورى: ٤٥]، ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢].

يومٌ تخشع فيه الأصوات، فلا يُسمع من هذا الجمع العظيم إلا همسًا ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨].

يومٌ يتمنى فيه الكافر أن يعود إلى الدنيا ليؤمن ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٧، ٢٨].

إنه **يوم الخروج**؛ ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ [المعارج: ٤٣]، ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧].

ويوم الحاقة؛ الذي يحق فيه الحق، وقيل: لأنه لا شك فيه؛ قال الله تعالى: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ [الحاقة: ١ – ٣].

ويوم القارعة؛ التي تَقْرَعُ الخلائق بأهوالها وأفزاعها؛

قال جل جلاله: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ١- ٥].

ويوم الجمع؛ الذي يجمع فيه الأولون والآخرون؛ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧].

ويوم الفصل؛ الذي يفصل فيه بين الخلائق؛ ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ۝١٩ وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝٢٠ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [الصافات: ١٩- ٢١].

ويوم الحساب؛ الذي يحاسب فيه كل أحد بما كسب ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [غافر: ١٧].

ويوم التلاق؛ الذي يتلاقى فيه الأولون والآخرون، ويلتقي فيه أهل السماء بأهل الأرض، ويلتقي فيه الظالم بالمظلوم؛ قال عز وجل: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ [غافر: ١٥].

ويوم الحسرة؛ يوم يتحسر الجميع، مؤمنهم وكافرهم،

طائعهم وعاصيهم، فالمؤمن الطائع يتحسر أن لم يزدد من طاعته، والعاص يتحسر على معصيته، والكافر يتحسر أن لم يكن آمن، ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [مريم: ٣٩، ٤٠].

ويوم التناد؛ قال ﷻ: ﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [غافر: ٣٢، ٣٣]؛ سمي كذلك لأنه يكون فيه تناد؛ فينادي الناس بعضهم بعضًا، فينادي أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم، وينادي أصحاب الجنة أصحاب النار: ﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾ [الأعراف: ٤٤]، وينادي أصحاب النار أصحاب الجنة: ﴿أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ﴾ [الأعراف: ٥٠]؛ وتنادي الملائكة أصحاب الجنة: ﴿أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]؛ إلى غير ذلك من النداءات.

ويوم التغابن؛ قال جلَّ ذكره: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ [التغابن: ٩]؛ لأنه غبن فيه أهل الجنة أهل النار، أي:

إن أهل الجنة أخذوا الجنة، وأخذ أهل النارِ النار على طريق المبادلة؛ فوقع الغبن؛ لأجل مبادلتهم الخير بالشر، والنعيم بالعذاب؛ يقال: غبنت فلانًا إذا بايعته أو شاريته، فكان النقص عليه والغلبة لك.

ويوم الوعيد؛ قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ﴾ [ق: ٢٠]؛ الذي توعد الله تعالى فيه الكافرين بالنار، والعاصين بالعذاب.

ويوم الخلود؛ قال جل جلاله: ﴿وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ﴾ [ق: ٣١ – ٣٤]؛ أي: يوم يخلد أهل الجنة في الجنة، في نعيم مقيم؛ ويخلد أهل النار في النار، في عذاب أليم.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّمَنۡ خَافَ عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمٌ مَّجۡمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٌ مَّشۡهُودٌ﴾ [هود: ١٠٣].

ولحكمة أرادها الله تعالى جاء ذكر الساعة في كثير من سور القرآن؛ طوالها، وأوساطها، وقصارها، كما جاء في السورة التي يقرأها كل المسلمين في كل ركعة من صلاتهم: ﴿مَٰلِكِ

﴿يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة: ٤].

ولعل ذلك للتذكير بها في كل وقت، مما يجعل المسلم في مراقبة دائمة لله تعالى، خائفًا راجيًا؛ وقد أحسن من قال:

مثِّل لنفسكَ أيها المغرورُ خليقة	يوم القيامة والسماءُ تمورُ
إذ كُوِّرَتْ شمس النهار وأدنيتْ	حتى على رأس العبادِ تسيرُ
وإذا النجومُ تساقطتْ وتناثرتْ	وتبدلتْ بعد الضياءِ كدورُ
وإذا البحارُ تفجرتْ من خوفِها	ورأيتَها مِثْلَ الجحيمِ تفورُ
وإذا الجبالُ تقلعتْ بأصولها	فرأيتَها مِثْلَ السحابِ تسيرُ
وإذا العشارُ تعطلتْ وتخربتْ	خلتِ الديارُ فما بها معمورُ
وإذا الوحوشُ لدى القيامةِ أحشرتْ	وتقولُ للأملاكِ أين نسيرُ
وإذا تقاةُ المسلمين تزوجتْ	من حورِ عينٍ زانهن شعورُ
وإذا المؤودةُ سُئِّلت عن شأنها	بأي ذنبٍ قتْلَها ميسورُ
وإذا الجليلُ طوى السما بيمينهِ	طيَّ السجلِّ كتابَه المنشورُ
وإذا الصحائفُ نُشِّرت وتطايرت	وتهتكتْ للمؤمنين ستورُ
وإذا السماءُ تكشطتْ عن أهلِها	ورأيتَ أفلاكَ السماءِ تدورُ

وإذا الجحيمُ تسعرتْ نيرانُها فلها على أهلِ الذنوبِ زفيرُ

وإذا الجنانُ تزخرفتْ وتطيبتْ لفتىً على طولِ البلاءِ صبورُ

وإذا الجنينُ بأمهِ متعلقٌ يخشى القصاصَ وقلبه مذعورُ

هذا بلا ذنبٍ يخافُ جنايةً كيفَ المصرُّ على الذنوبِ دهورُ

اللهم سلمِّنا، وسلِّم منا... آميييين.

وقد بسط علماء الإسلام الكلام عن الإيمان باليوم الآخر في كتب التوحيد والعقيدة، وأفرد بعضهم بعض مفرداته في مصنف منفصل، فأردت أن أجمع في ذلك مختصرًا مفيدًا، يلم بمشاهد يوم القيامة، رجاء أن ينفع الله به؛ والله أسال التوفيق والسداد في النية والقول والعمل، لا ربَّ غيره، ولا أرجو إلا خيره، عليه توكلت، وإليه أنيب، وهو حسبي ونعم الوكيل، وصلى الله وسلم وبارك على النبي محمد وآله.

وكتبه

أفقر العباد إلى عفو ربِّ البرية

محمد بن محمود بن إبراهيم عطية

تمهيد

لعل من المهم أن نذكر ها هنا بأمور تتعلق بيوم القيامة، قبل أن نتحدث عن مشاهدها.

* استئثار الله تعالى بعلم الساعة *

يوم القيامة مما استأثر الله تعالى بعلمه، فلم يُطْلِعَ على علمه ملكًا مقرَّبًا، ولا نبيًّا مرسلا، ولا يعلم وقته إلا الله ﷻ، قال الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وقال ﷻ: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣]، وقال جل وعلا: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٢- ٤٦]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان: ٣٤].

وفي رواية أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لحديث جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنْ السَّائِلِ؛ وَلَكِنْ سَأُحَدِّثُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا: إِذَا وَلَدَتْ الْمَرْأَةُ رَبَّتَهَا، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا؛ وَإِذَا كَانَ الْحُفَاةُ الْعُرَاةُ رُءُوسَ النَّاسِ، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا؛ فِي خَمْسٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان: ٣٤]»؛ ثُمَّ انْصَرَفَ الرَّجُلُ، فَقَالَ: «**رُدُّوا عَلَيَّ**»، فَأَخَذُوا لِيَرُدُّوا، فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا؛ فَقَالَ: «**هَذَا جِبْرِيلُ، جَاءَ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ دِينَهُمْ**» رواه أحمد والشيخان(١).

فدلَّ ذلك على أن الله تعالى استأثر بعلمها وحده، فلا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، عنده علم بتوقيتها.

ولذلك كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا سئل عن الساعة، إما أن يجيب ببعض أشراطها، أو يصرف السائل إلى ما هو أهم له في دينه، وهو الاستعداد لها.

---

(١) أحمد: ٢/ ٤٢٦، والبخاري (٥٠، ٤٧٧٧)، ومسلم (٩، ١٠). ورواه النسائي (٤٩٩)، وابن ماجه (٦٤، ٤٠٤٤)، وغيرهم.

فمن الأول، ما روى أحمد والبخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ، جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَمَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحَدِّثُ؛ فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: سَمِعَ مَا قَالَ، فَكَرِهَ مَا قَالَ؛ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ، حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ؛ قَالَ: «**أَيْنَ أُرَاهُ السَّائِلُ عَنْ السَّاعَةِ؟**»، قَالَ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ؛ قَالَ: «**فَإِذَا ضُيِّعَتْ الْأَمَانَةُ، فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ**»، قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: «**إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ، فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ**»(١).

ومن الثاني: ما روى أحمد والشيخان عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ السَّاعَةِ، فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: «**وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟**»، قَالَ: لَا شَيْءَ، إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ؛ فَقَالَ: «**أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**»؛ قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحَنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**»؛ قَالَ أَنَسٌ: فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ، وَأَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ؛ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ(٢).

---

(١) أحمد: ٢/ ٣٦١، والبخاري (٥٩، ٦٤٩٦)؛ ورواه ابن حبان (١٠٤).

(٢) أحمد في مواضع منها: ٣/ ١٦٥، ٢٠٨، والبخاري في مواضع منها×=

وعلى ذلك، فكل ما يظهر على الناس بين الحين والآخر على ألسنة بعض من لا علم عندهم من تحديد لميعاد يوم القيامة، ما هو إلا تخرّصات وأكاذيب لا دليل عليها؛ والله تعالى يقول: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ **[البقرة: ١١١]**.

ولما كان الإيمان بالساعة وأشراطها من الإيمان بالغيب، كان الكلام عنه موقوفًا على ما صح به الدليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فهو مما يثبت بالوحي لا بالعقل، وإن كانت الأدلة العقلية تساند الأدلة النقلية ولا تعارضها، بل يتضافران على أنه لابد من الإيمان باليوم الآخر، وقد وقع مما أخبر به النبي ﷺ من علامات الساعة، مما آمن به المؤمنون، وكفر به الكافرون، ليكون الواقع الذي شوهد دليلا على الغائب الذي لم يقع، فكله حقٌّ وصدق، وتلك من قضايا الإيمان؛ والذين ينكرون ذلك ليس عندهم أثارة من علم.

=×(٣٦٨٨)، ومسلم (٢٦٣٩). ورواه أبو داود (٥١٢٧)، والترمذي (٢٣٨٥)، وغيرهم.

* الرد على من ينكر الساعة *

الذين لا يؤمنون بالغيبيات، ولا يؤمنون إلا بالمحسوسات؛ تبعًا لأوهام وشبهات لشياطين الإنس والجن، هم يكذبون بأشراط الساعة، ويكذبون بيوم الحساب؛ نسألهم: أرأيت الروح منك أو من غيرك؟ فإن قال: آثارها موجودة؛ يقال له: وتلك التي أخبر بها الوحي ووقعت- كالتطاول في البنيان، وظهور الكاسيات العاريات، وفشو الربا، وانتشار الزنا، وغير ذلك مما أخبر به المعصوم ﷺ، فأصبح عينًا بعد خبر- أليست موجودة مشاهدة بعد أن كانت غيبًا؟! ويقال لأحدهم: أين عقلك وفهمك إذا غلبك النوم؟

إن الغيبيات التي أخبر بها الشرع المطهر هي قضايا الإيمان، والذين يريدون أن يشككوا في ذلك إنما يرومون تشكيك المؤمنين في إيمانهم، وهيهات هيهات، فالإيمان الصادق لا يتأثر بمثل هذه الشبهات.

ولهذا فإن هؤلاء حين تخرج الشمس من مغربها، ويراها الناس يؤمنون أجمعون، ولكن ولات حين مندم: ﴿**يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ**

أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

* * *

شبهة والرد عليها

يثير المنكرون باليوم الآخر شبهة مؤداها أن الإيمان بالآخرة يدعو الناس إلى السلبية في الحياة الدنيا، وإلى إهمال هذه الحياة، وتركها بلا جهد لتحسينها وإصلاحها، وإلى تركها للطغاة والمفسدين تطلعًا إلى نعيم الآخرة..

والذين يفترون هذا الافتراء يضيفون على الافتراء الجهالة! فهم يخلطون بين عقيدة الآخرة كما هي في التصورات الكنسية، وعقيدة الآخرة في دين الله القويم؛ فالدنيا في- التصور الإسلامي- هي مزرعة الآخرة، والجهاد في الحياة الدنيا لإصلاح هذه الحياة ودفع الشر عنها، ومدافعة الطواغيت لرد الاعتداء عن سلطان الله فيها، وتحقيق العدل والخير للناس جميعًا؛ كل أولئك هو زاد الآخرة، وهو الذي يفتح للمجاهدين أبواب الجنة، ويعوضهم عما فقدوا في صراع الباطل، وما أصابهم من الأذى.

فكيف يتفق لعقيدة هذه تصوراتها أن يدع أهلها الحياة

الدنيا تركد وتأسن، أو تفسد وتختل، أو يشيع فيها الظلم والطغيان، أو تتخلف في الصلاح والعمران، وهم يرجون الآخرة، وينتظرون فيها الجزاء من الله تعالى؟![١].

وإنما سبيلهم إلى هذا الجزاء عمارة الأرض وفق منهج الله تعالى.

❊ ❊ ❊

(١) بتصرف من (اليوم الآخر في ظلال القرآن) ص ٥، ٦.

* تعريف اليوم الآخر *

اليوم الآخر هو يوم القيامة، سمي بذلك لأنه آخر أيام الدنيا؛ وأول ذلك دخول الإنسان قبره، لما روى أحمد وابن ماجه والترمذي وحسنه عَنْ هَانِئٍ مَوْلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ قَالَ: كَانَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرٍ بَكَى، حتَّى يَبَلَّ لِحْيَتَهُ؛ قَالَ: فَيُقَالُ لَهُ: تُذْكَرُ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فَلاَ تَبْكِي، وَتَبْكِي مِنْ هَذَا؟ قَالَ: فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الآخِرَةِ، فَمَنْ نَجَا مِنْهُ، فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ؛ وَمَنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ، فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ**»؛ قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ، إِلاَّ وَالْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ**»(١).

وقيل: أول ذلك من النشر؛ أي: الخروج من القبور.

والجمع بينهما بأن دخول القبر أولية خاصة، بالنسبة للمقبور؛ والنشر أولية عامة، للأولين والآخرين.. والعلم عند الله تعالى. واتفق على أن آخره: استقرار أهل الجنة في الجنة، واستقرار أهل النار- الذين هم أهلها- فيها.

---

(١) أحمد: ١/ ٦٣، والترمذي (٢٣٠٨)، وابن ماجه (٤٢٦٧)، ورواه الحاكم: ٤/ ٣٣٠، ٣٣١، وصححه، ووافقه الذهبي.

* معنى الإيمان باليوم الآخر *

التصديق الجازم بيوم القيامة، وما يتعلق به من مقدمات ومشتملات؛ أما المقدمات: فعلامات الساعة؛ وأما المشتملات: فالموت، وما بعده من قبر وحياة البرزخ، والنفخ في الصور، والبعث والنشور، والعرض، والحساب، والميزان، والشفاعة، والحوض، والصراط، والجنة والنار؛ نسأل الله الكريم الجنة، ونعوذ به من النار.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ **وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ** ﴾ [البقرة: ٤]، وقال جل جلاله: ﴿**وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ** ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقال عز وجل: ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ** ﴾ [آل عمران: ٢٥].

وفي حديث جبريل المشهور أنه سأل النبي ﷺ عن الإيمان؟ فقال: «**فَأَخْبِرْنِى عَنِ الإِيمَانِ؛ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»؛ قَالَ صَدَقْتَ(١).

---

(١) رواه مسلم (٨) عن عمر رضي الله عنه.

وقد أجمعت الأمة على أن الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان، من أنكره فهو كافر.

* آثار الإيمان باليوم الآخر *

الإيمان باليوم الآخر من المهمات في حياة المسلم، إذ الإيمان بالله العظيم يحقق له المعرفة بالله تعالى، الذي أوجد هذا الكون بما فيه من مخلوقات مرئية وغير مرئية، وما يجب على الإنسان أن يفعله من أداء لحق الخالق العظيم.

والإيمان باليوم الآخر يحقق المعرفة بالمصير الذي ينتهي إليه هذا الوجود؛ وعلى ضوء هذا يحدد الإنسان هدفه وغايته، ويتخذ الوسائل للوصول إلى الغاية المنشودة، ومتى فقد الإنسان هذه المعرفة فسوف يعيش بلا هدف ولا غاية، وحينئذ يفقد سموه الروحي وفضائله العليا، فيعيش كما تعيش البهائم.

ومن أعظم آثار الإيمان باليوم الآخر السعادة في الدنيا، الموصولة بسعادة الآخرة؛ إذ السعادة في الدنيا مرتبطة بطيب النفس، والرضا بالمقدور، طلبًا لما وراء ذلك من النعيم المقيم، الذي لا يحول ولا يزول، ولا يكون ذلك إلَّا بالإيمان

باليوم الآخر، الذي يكون فيه هذا الجزاء؛ والسعادة في الآخرة مربوطة بالنجاة يوم القيامة من عذاب الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨].

وأما المكذبون باليوم الآخر فمتوعدون بالويل، وهو الهلاك والعذاب، قال الله تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ [المطففين: ١٠-١٢].. اللهم سلِّمنا، وسلِّم منا.. آمين.

* علامات الساعة *

الحديث عن مشاهد يوم القيامة لا بد له من تمهيد نذكر فيه بعض ما يتعلق بعلامات الساعة، قال الله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد: ١٨]؛ والأشراط: العلامات؛ وقد بيَّن القرآن الكريم بعض هذه العلامات: كخروج الدابة، ونزول عيسى ابن مريم ﷺ، وخروج يأجوج ومأجوج؛ وفسر النبي ﷺ قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ﴾ [الأنعام: ١٥٨]؛ بأنه خروج الشمس من

مغربها، كما سيأتي، إن شاء الله تعالى.

وأخبر النبي ﷺ أمته بما يكون إلى قيام الساعة، فروى أحمد والشيخان عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَقَامًا، مَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلاَّ حَدَّثَ بِهِ؛ حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ، وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ؛ قَدْ عَلِمَهُ أَصْحَابِي هَؤُلاَءِ، وَإِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْهُ الشَّيْءُ قَدْ نَسِيتُهُ، فَأَرَاهُ فَأَذْكُرُهُ؛ كَمَا يَذْكُرُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّجُلِ إِذَا غَابَ عَنْهُ، ثُمَّ إِذَا رَآهُ عَرَفَهُ(١). وقد جاءت أحاديث كثيرة تتحدث عن أشراط الساعة.

وقد قسم العلماء أشراط الساعة إلى أشراط صغرى، وأشراط كبرى.

وقسموا الأشراط الصغرى إلى ثلاثة أقسام: قسم ظهر وانقضى، وقسم ظهر ولا يزال يتتابع ويكثر، وقسم لم يظهر بعد؛ أما العلامات الكبرى فلم يظهر بعد منها شيء.

وهذا التقسيم لأهل العلم لا يعني أنه لابد للعلامات الصغرى أن تنقضي قبل أن تظهر علامةٌ كبرى، فقد تظهر

---

(١) أحمد: ٥/ ٣٨٥، والبخاري (٦٦٠٤)، ومسلم (٢٨٩١).

بعض العلامات الكبرى، ثم تتابع بعد ذلك من الصغرى والكبرى ما شاء الله أن يكون؛ وكذلك ترتيب كثير من الأشراط هو اجتهاد ممن رتبها من أهل العلم، لأنه لم يأتِ في ترتيب كثير منها شيء عن المعصوم ﷺ.

ولسنا هنا بصدد التفصيل في ذكر علامات الساعة، فقد صنف فيها كثير من أهل العلم، ولكننا نذكر ما هو متصل بمشاهد يوم القيامة؛ وأول ما نتحدث عنه:

* الريح التي تقبض أرواح المؤمنين *

قضى الله تعالى أن تقوم الساعة على شرار الناس، روى أحمد ومسلم عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ إِلاَّ عَلَى شِرَارِ النَّاسِ**»(١).

وروى أحمد والطبراني والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، عَنْ عِلْبَاءَ السُّلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى حُثَالَةِ النَّاسِ**»(٢).

---

(١) أحمد: ١/ ٣٩٤، ٤٣٥، ومسلم (٢٩٤٩).

(٢) أحمد: ٣/ ٤٩٩، والطبراني في الكبير: ١٨/ ٨٤ (١٥٦)، والحاكم (٨٥١٧) وصححه.

لهذا فبعد توالي فتن آخر الزمان وأشراط الساعة، ومن ذلك موت نبي الله عيسى ﷺ، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة، والخسوف، والدخان، يرسل الله تعالى ريحًا باردة طيبة ألين من الحرير، لا تدع أحدًا في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته؛ فقد روى مسلم عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لاَ يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى تُعْبَدَ اللاَّتُ وَالْعُزَّى**»؛ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنْ كُنْتُ لأَظُنُّ حِينَ أَنْزَلَ اللهُ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ أَنَّ ذَلِكَ تَامًّا؛ قَالَ: «**إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَوَفَّى كُلَّ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَيَبْقَى مَنْ لاَ خَيْرَ فِيهِ، فَيَرْجِعُونَ إِلَى دِينِ آبَائِهِمْ**»(١).

وفي حديث النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي رواه أحمد ومسلم: «.. **فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ، وَكُلِّ مُسْلِمٍ؛**

---

(١) مسلم (٢٩٠٧).

وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ، يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ؛ فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»(١).

وروى أحمد ومسلم عن عبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «..**ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّامِ، فَلاَ يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلاَّ قَبَضَتْهُ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبَدِ جَبَلٍ، لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ حَتَّى تَقْبِضَهُ**»؛ قَالَ: سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ، فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ، وَأَحْلاَمِ السِّبَاعِ؛ لاَ يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا، وَلاَ يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا؛ فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ، فَيَقُولُ: أَلاَ تَسْتَجِيبُونَ؟ فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الأَوْثَانِ؛ وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارٌّ رِزْقُهُمْ، حَسَنٌ عَيْشُهُمْ؛ ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ**..» الحديث(٢).

وعند مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ رِيحًا مِنَ الْيَمَنِ، أَلْيَنَ مِنَ الْحَرِيرِ، فَلاَ تَدَعُ أَحَدًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ إِلاَّ قَبَضَتْهُ**»(٣). ورواه

---

(١) أحمد: ٤/ ١٨١، ومسلم (٢٩٣٧).

(٢) مسلم (٢٩٤٠).

(٣) مسلم (١١٧).

أبو يعلى ومن طريقه ابن حبان بلفظ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُبْعَثَ رِيحٌ حَمْرَاءُ مِنْ قِبَلِ الْيَمَنِ، فَيَكْفِتُ اللَّهُ بِهَا كُلَّ نَفْسٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَمَا يُنْكِرُهَا النَّاسُ مِنْ قِلَّةِ مَنْ يَمُوتُ فِيهَا، مَاتَ شَيْخٌ فِي بَنِي فُلَانٍ، وَمَاتَتْ عَجُوزٌ فِي بَنِي فُلَانٍ؛ وَيُسَرَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ فَيُرْفَعُ إِلَى السَّمَاءِ، فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ**..» الحديث[1].

وقد يبدو من ظاهر هذه الأحاديث تعارض، ففي حديث أبي هريرة: «**رِيحًا مِنَ الْيَمَنِ**»، وفى حديث ابن عمرو: «**مِنْ قِبَلِ الشَّامِ**»؛ قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: ويجاب عن هذا بوجهين؛ أحدهما: يحتمل أنهما ريحان شامية ويمانية، ويحتمل أن مبدأها من أحد الإقليمين، ثم تصل الآخر وتنتشر عنده، والله أعلم. اهـ[2].

وبعد قبض المؤمنين، يبقى شرار الناس، في خفة الطير، وأحلام السباع[3]، لا يعرفون معروفًا، ولا ينكرون منكرًا،

---

(١) أبو يعلى (٦٢٠٣)، وابن حبان (٦٨٥٣).

(٢) انظر (المنهاج شرح مسلم) للنووي: ٢/ ١٣٣.

(٣) قال النووي في (شرح مسلم): ١٨/ ٧٦: قال العلماء: معناه يكونون×=

يتهارجون تهارج الحمر، يأمرهم الشيطان فيعبدون الأصنام، ولا يبقى على الأرض من يقول: الله، الله؛ وعلى هؤلاء الشرار تقوم الساعة.

❊ ❊ ❊

❊ النار التي تحشر الناس إلى محشرهم في آخر الزمان ❊

الحشر لغة: الجمع والضم.

واصطلاحًا: هو جمع الناس وضمهم إلى محشرهم، أي: مكان جمعهم.

وأقسام الحشر أربعة: اثنان في الدنيا، واثنان في الآخرة؛ أما اللذان في الدنيا فأولهما ما ذكره الله تعالى في سورة الحشر؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ﴾ [الحشر: ٢]، وهذا كان في يهود بني النضير.

وأما **الحشر الثاني**: فهو موضوع حديثنا هنا، وهو حشر الناس في آخر الزمان إلى أرض المحشر ببيت المقدس.

=×في سرعتهم إلى الشرور وقضاء الشهوات والفساد كطيران الطير، وفى العدوان وظلم بعضهم بعضًا في أخلاق السباع العادية.

وأما الحشران يوم القيامة:

فالأول: الحشر إلى موقف القيامة، كقوله تعالى: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧]، وكقول النبي ﷺ: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا**»(١)، وهذا يكون بعد البعث.

والثاني: حشر الناس إلى دار المستقر؛ **فحشر المتقين:** جمعهم وضمهم إلى الجنة؛ قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥]؛ **وحشر الكافرين:** جمعهم وضمهم إلى النار، قال تعالى: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٢، ٢٣]؛ فهذا الحشر هو بعد حشرهم إلى الموقف، وهو آخر ما يكون من أمر الناس قبل ذبح الموت.

وحديثنا هنا عن حشر الناس إلى أرض المحشر عند بيت المقدس في آخر الزمان، فعن سمرة بن جندب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كَانَ يَقُولُ لَنَا: «**إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ إِلَى بَيْتِ**

(١) البخاري (٦٥٢٧)، ومسلم (٢٨٥٩) واللفظ له، عن عائشة رضي الله عنها.

الْمَقْدِسِ، ثُمَّ تَجْتَمِعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» رواه الطبراني[١].

وروى ابن ماجه وأبو يعلى والطبراني عَنْ مَيْمُونَةَ مَوْلَاةِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفْتِنَا فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ؟ قَالَ: «**أَرْضُ الْمَحْشَرِ وَالْمَنْشَرِ، ائْتُوهُ فَصَلُّوا فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاةً فِيهِ كَأَلْفِ صَلَاةٍ فِي غَيْرِهِ**»، قُلْتُ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَتَحَمَّلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: «**فَتُهْدِي لَهُ زَيْتًا يُسْرَجُ فِيهِ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ كَمَنْ أَتَاهُ**» وإسناده صحيح[٢].

فإذا أذن الله تعالى لجمع الناس إلى محشرهم، أخرج النار التي تطردهم طردًا إلى أرض المحشر، وتخرج هذه النار من قعر عدن، كما في حديث حذيفة ابن أسيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أحمد ومسلم: «**وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ**»؛ وفي رواية: «**وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قُعْرَةِ عَدَنٍ، تَرْحَلُ النَّاسَ**»[٣].

---

(١) الطبراني في الكبير: ٧/ ٢٦٤ (٧٠٧٦)، وإسناده حسن.

(٢) أحمد: ٦/ ٤٦٣، ابن ماجه (١٤٠٧)، وأبو يعلى (٧٠٨٨).

(٣) أحمد: ٤/ ٦، ٧، ومسلم (٢٩٠١)، وأبو داود (٤٣١١)، والترمذي (٢١٨٣).

وروى أحمد والترمذي وصححه وابن حبان عَنْ عَبْدِ اللهِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**سَتَخْرُجُ نَارٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ، أَوْ مِنْ نَحْوِ حَضْرَمَوْتَ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، تَحْشُرُ النَّاسَ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «**عَلَيْكُمْ بِالشَّامِ**»(١).

وروى أحمد وابن حبان والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي؛ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَقْبَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَنَزَلْنَا ذَا الْحُلَيْفَةِ، فَتَعَجَّلَتْ رِجَالٌ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَبَاتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَبِتْنَا مَعَهُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ سَأَلَ عَنْهُمْ، فَقِيلَ: تَعَجَّلُوا إِلَى الْمَدِينَةِ؛ فَقَالَ: «**تَعَجَّلُوا إِلَى الْمَدِينَةِ وَالنِّسَاءِ! أَمَا إِنَّهُمْ سَيَدَعُونَهَا أَحْسَنَ مَا كَانَتْ**»، ثُمَّ قَالَ: «**لَيْتَ شِعْرِي، مَتَى تَخْرُجُ نَارٌ مِنْ الْيَمَنِ، مِنْ جَبَلِ الْوِرَاقِ، تُضِيءُ مِنْهَا أَعْنَاقُ الْإِبِلِ بُرُوكًا**(٢) **بِبُصْرَى، كَضَوْءِ النَّهَار**»(٣).

---

(١) أحمد: ٢/ ٨، والترمذي (٢٢١٧) وصححه، وابن حبان كما في موارد الظمآن (٢٣١٢).

(٢) أي: الإبل في حال بروكها.

(٣) أحمد: ٥/ ١٤٤، ابن حبان (٦٨٤١)، والحاكم: (٨٣٦٦).

وروى أحمد والبخاري عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَلَغَ عَبْدَ اللهِ بْنَ سَلَامٍ مَقْدَمُ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، فَأَتَاهُ، فَقَالَ: إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ ثَلَاثٍ، لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ؛ قَالَ: مَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟ وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ؟ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ الْوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ، وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ إِلَى أَخْوَالِهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**خَبَّرَنِي بِهِنَّ آنِفًا جِبْرِيلُ**»، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: ذَاكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنْ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ..**» الحديث(١).

ورواه ابن أبي شيبة عن أنس أن عبد الله بن سلام سأل النبي ﷺ: ما أول أشراط الساعة؟ فقال: «**أَخْبَرَنِي جِبْرِيلُ آنِفًا أَنَّ نَارًا تَحْشُرُهُمْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ**» وإسناده حسن، ورواه الطيالسي عن أنس عن النبي ﷺ قال: «**أَوَّلُ شَيْءٍ يَحْشُرُ**

---

(١) أحمد: ٣/١٨٩، والبخاري (٣٣٢٩، ٣٩٣٨، ٤٤٨٠)؛ وتتمة الحديث: « **وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَزِيَادَةُ كَبِدِ الْحُوتِ؛ وَأَمَّا الْوَلَدُ: فَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ نَزَعَ الْوَلَدَ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الْمَرْأَةِ مَاءَ الرَّجُلِ نَزَعَتْ الْوَلَدَ** » قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللهِ.

النَّاسَ: نَارٌ تَحْشُرُهُمْ مِنْ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِب»[(١)].

وقد يبدو بين ظاهر هذه الأحاديث تعارض، في كون هذه النار أول العلامات أو آخرها: ففي حديث حذيفة بن أسيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ**»، وفي حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، فَنَارٌ**»، وقد أجاب عن ذلك ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في (الفتح) فقال: ويجمع بينها بأن آخريتها باعتبار ما ذكر معها من الآيات، وأوليتها باعتبار أنها أول الآيات التي لا شيء بعدها من أمور الدنيا أصلا، بل يقع بانتهائها النفخ في الصور، بخلاف ما ذكر معها، فإنه يبقى بعد كل آية منها أشياء من أمور الدنيا. اهـ[(٢)].

وكذلك في مكان خروجها ففي حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنها: «**تَخْرُجُ مِنْ قُعْرَةِ عَدَنٍ**»، وفي حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**مِنْ حَضْرَمَوْتَ، أَوْ مِنْ نَحْوِ حَضْرَمَوْتَ**»، وفي حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**تَحْشُرُ النَّاسَ مِنْ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ**»؛ قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: وأما كونها تخرج من قعر عدن، فلا ينافي حشرها

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٣٧٣١٦)، والطيالسي (٢٠٥٠).

(٢) فتح الباري: ١٣/ ٨٢.

الناس من المشرق إلى المغرب، وذلك أن ابتداء خروجها من قعر عدن، فإذا خرجت انتشرت في الأرض كلها، والمراد بقوله: «**تَحْشُرُ النَّاسَ مِنْ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ**» إرادة تعميم الحشر، لا خصوص المشرق والمغرب، أو أنها بعد الانتشار أول ما تحشر تحشرُ أهل المشرق، ويؤيد ذلك أن ابتداء الفتن دائما من المشرق، وأما جعل الغاية إلى المغرب؛ فلأن الشام بالنسبة إلى المشرق مغرب. اهـ. بتصرف(١).

* صفة الحشر *

وأما صفة هذا الحشر فروى الشيخان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلَاثِ طَرَائِقَ: رَاغِبِينَ رَاهِبِينَ، وَاثْنَانِ عَلَى بَعِيرٍ، وَثَلَاثَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَأَرْبَعَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَعَشَرَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَيَحْشُرُ بَقِيَّتَهُمْ النَّارُ؛ تَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا، وَتَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، وَتُصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا، وَتُمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا**»(٢).

(١) فتح الباري: ١١/ ٣٧٨، ٣٧٩.

(٢) البخاري (٦٥٢٢)، ومسلم (٢٨٦١).

وروى الطبراني والحاكم وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي عَنْ عَبْدِ اللهِ بن عَمْرِو بن الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تُبْعَثُ نَارٌ عَلَى أَهْلِ الْمَشْرِقِ، فَتَحْشُرُهُمْ إِلَى الْمَغْرِبِ، تَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، وَتَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا، يَكُونُ لَهَا مَا سَقَطَ مِنْهُمْ وَتَخَلَّفُ، تَسُوقُهُمْ سُوقَ الْجَمَلِ الْكَسِيرِ**»(١).

وروى أحمد والترمذي والطبراني والحاكم وصححه ووافقه الذهبي عن معاوية بن حيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيْنَ تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: «**هَا هُنَا**»، وَنَحَا بِيَدِهِ نَحْوَ الشَّامِ، قَالَ: «**إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ رِجَالًا، وَرُكْبَانًا، وَتُجَرُّونَ عَلَى وُجُوهِكُمْ**»(٢).

* * *

---

(١) الطبراني في الأوسط (٨٠٩٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٨/ ١٢: رجاله ثقات. ا.هـ. ورواه الحاكم (٨٤١٤، ٨٦٤٧).

(٢) أحمد: ٥/ ٣، ٥، والترمذي (٢٤٢٤)، وصححه، والطبراني في الكبير: ١٩/ ٤٠٨ (٩٧٤)، والحاكم (٨٦٨٦).

* زمن هذا الحشر *

من هذه الأحاديث تبين أن الحشر المقصود هنا قبيل يوم القيامة، وهو إلى أرض المحشر بالشام، وأن سرعة الحشر بطيئة كالجمل الكسير، وأن النار تقف عن الحركة عند البيات والقيلولة، وأن الناس في حشرهم هذا طرائق ثلاث:

الأولى: راغبين راهبين، أي: راغبين في النجاة راهبين من النار.

والثانية: يعتقبون على البعير الاثنان، والثلاثة، والأربعة، والعشرة.

والثالثة: تحشرهم النار، فتحيط بهم من ورائهم، وتسوقهم إلى المحشر من كل جانب؛ ومن يتخلف تأكله.

* لماذا كانت الشام هي أرض المحشر؟ *

في تعليل أن الشام هي أرض المحشر يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يتحدث عن مناقب الشام: وفيها المسجد الأقصى، وفيها مبعث أنبياء بني إسرائيل، وإليها هجرة إبراهيم، وإليها معراج ومسرى نبينا، ومنها معراجه، وبها ملكه

وعمود دينه وكتابه، والطائفة المنصورة من أمته، وإليها المحشر والمعاد، كما أن من مكة المبدأ، فمكة أم القرى من تحتها دحيت الأرض، والشام إليها يحشر الناس، كما في قوله تعالى: ﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ **[الحشر: ٢]**، نبَّه على الحشر الثاني، فمكة مبدأ، وإلياء معاد في الخلق، وكذلك بدأ الأمر، فإنه أسري بالرسول من مكة إلى إلياء، ومبعثه ومخرج دينه من مكة، وكمال دينه وظهوره وتمامه حتى يملكه المهدي بالشام؛ فمكة هي الأول، والشام هي الآخر في الخلق والأمر، في الكلمات الكونية والدينية(١). اهـ.

وبعد؛ فجملة القول أن هذه النار هي آخر العلامات المؤذنة بانتهاء الدنيا، وأنها تحشر الناس إلى محشرهم ليصعقوا، فليس بعدها إلا النفخ في الصور، ثم البعث، فهي بهذا الاعتبار أول العلامات لبدء القيامة؛ والعلم عند الله تعالى.

* * *

(١) انظر (مناقب الشام) ص ٧٨، تحقيق الألباني- المكتب الإسلامي.

* آخر يوم من أيام الدنيا *

آخر يوم من أيام الدنيا هو يوم جمعة، فقد روى أحمد ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ: يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا، وَلا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ**»(١).

وقد أخبر النبي ﷺ أن الخلائق جميعًا إلا الإنس والجن تكون في يوم الجمعة مستمعة، مصغية، منتظرة للساعة، مشفقة منها؛ فروى مالك وأحمد وأبو داود والنسائي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ أُهْبِطَ مِنَ الْجَنَّةِ، وَفِيهِ تِيبَ عَلَيْهِ، وَفِيهِ مَاتَ، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ، وَمَا مِنْ دَابَّةٍ إِلا وَهِيَ مُصِيخَةٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنْ حِينِ تُصْبِحُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، شَفَقًا مِنَ السَّاعَةِ، إِلا الْجِنَّ وَالإِنْسَ**»(٢).

---

(١) أحمد: ٢/ ٤١٧، مسلم (٨٥٤).

(٢) مالك: ١/ ١٠٨ (٢٤٢)، وأحمد: ٥/ ٤٥٣، وأبو داود (١٠٤٦)، والنسائي (١٤٣٠) وإسناده صحيح.

* النفخ في الصور *

الصور هو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام؛ ويقال: إن الصور اسم القرن بلغة أهل اليمن، وشاهده قول الشاعر:

نحن نفخناهم غداة النقعين نفخًا شديدًا لا كنفخ

وروى أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه والنسائي في الكبرى وابن حبان والحاكم وصححه ووافقه الذهبي عَنْ عَبْدِ×اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ أَعْرَابِيٌّ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الصُّورُ؟ قَالَ: «**قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ**»(١).

* صاحب الصور وصفته *

اشتهر أن صاحب الصور هو إسرافيل عليه السلام، قال القرطبي رحمه الله: والأمم مجمعة على أن الذي ينفخ في الصور إسرافيل عليه السلام(٢).

---

(١) أحمد: ٢/ ١٦٢، ١٩٢؛ ورواه أبو داود (٤٧٤٢)، والترمذي (٢٤٣٠، ٣٢٤٤) وحسنه، والنسائي في الكبرى (١١٣١٢، ١١٣٨١، ١١٤٥٦)، والدارمي (٢٧٩٤)، وابن حبان (٧٣١٢)، والحاكم: ٢/ ٤٣٦، ٥٠٦، ٤/ ٥٦٠، وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) انظر تفسير القرطبي: ٧/ ٢٠، والتذكرة: ١/ ٢٢٤.

وروى الحاكم وصححه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ طَرَفَ صَاحِبُ الصُّورِ مُذْ وُكِّلَ بِهِ، مُسْتَعِدًّا، يَنْظُرُ نَحْوَ الْعَرْشِ، مَخَافَةَ أَنْ يُؤْمَرَ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْهِ طَرْفُهُ، كَأَنَّ عَيْنَيْهِ كَوْكَبَانِ دُرِّيَّانِ**»(١).

* كم مرة ينفخ في الصور *

ذهب بعض العلماء إلى أنها ثلاث نفخات: **الأولى** نفخة الفزع، **والثانية** نفخة الصعق، **والثالثة** نفخة البعث؛ والأكثر على أنهما نفختان: **الأولى** نفخة الصعق، وهي نفخة الفزع، ولكنها تطول فيفزع الناس ثم يصعقوا؛ **والثانية** هي نفخة البعث.

وسبب الخلاف هل الفزع في قول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾ [**النمل: ٨٧**]، هو نفخة مستقلة، أم أنه صفة لنفخة الصعق؟ والراجح أنه صفة لنفخة الصعق؛ لأنه لم يذكر في

---

(١) الحاكم: ٤/ ٦٠٣ (٨٦٧٦)، ورواه أبو نعيم في الحلية: ٤/ ٩٩، وحسن إسناده الحافظ في الفتح: ١١/ ٣٦٨.

سورة الزمر إلا نفختان، قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]؛ والعلم عند الله تعالى.

* ماذا يحدث قبيل النفخ في الصور؟ *

قبيل نفخة الصعق تتغير معالم الكون، فتنشق السماء وتنفطر، وتكور الشمس، وتتناثر الكواكب، وتزلزل الأرض وتدك، وتسير الجبال، وتنفجر البحار وتُسجر؛ في دمار كوني شامل رهيب، يَشْدَهُ الناس، ويزلزل قلوبهم؛ روى ابن جرير عن أبي بن كعب قال: ست آيات قبل يوم القيامة: بينا الناس في أسواقهم، إذ ذهب ضوء الشمس، فبينما هم كذلك، إذ تناثرت النجوم، فبينما هم كذلك، إذ وقعت الجبال على وجه الأرض، فتحركت واضطربت واختلطت؛ ففزعت الجن إلى الإنس، والإنس إلى الجن، واختلطت الدواب والطير والوحوش، فماجوا بعضهم في بعض، ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥]، قال: اختلطت، ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ [التكوير: ٤]، قال: أهملها أهلها، ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦]؛

قال: قالت الجن: نحن نأتيكم بالخبر؛ قال: انطلقوا إلى البحر، فإذا هو نار تتأجج، قال: فبينما هم كذلك إذ تصدعت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة السفلى، وإلى السماء السابعة العليا، قال: فبينما هم كذلك إذ جاءتهم الريح فأماتتهم(١).

وأخرج أحمد والترمذي والطبراني وصححه الحاكم من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يرفعه: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأْيُ عَيْنٍ، فَلْيَقْرَأْ**: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾، و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾»(٢).

* * *

(١) ابن جرير: ٣٠/ ٤١، وإسناده حسن.

(٢) أحمد: ٢/ ٢٧، ٣٦، ٣٧، ١٠٠، والترمذي (٣٣٣٣) وحسنه؛ ورواه الحاكم: ٤/ ٥٧٦، ٥٧٧، وصححه ووافقه الذهبي.

* سرعة قيام الساعة *

إذا أراد الله تعالى إنهاء هذه الحياة أذن لإسرافيل بالنفخ في الصور؛ فينفخ النفخة الأولى، وهي نفخة الصعق[١]، وهي نفخة عظيمة تصعق كل من في السماوات والأرض إلا من شاء الله، يسمعها كل أحد فلا يستطيع مع سماعها أن يوصي بشيء، أو أن يعود إلى أهله، قال الله تعالى: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٤٩، ٥٠]؛ وقال ﷻ: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي رواه أحمد والبخاري أن رسول الله ﷺ قال: «.. **وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلانِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا، فَلا يَتَبَايَعَانِهِ، وَلا يَطْوِيَانِهِ؛ وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدِ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقْحَتِهِ، فَلا يَطْعَمُهُ؛ وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ**

---

(١) الصعق: أن يُغشَى على الإنسانِ من صَوتٍ شديدٍ يسمَعُه، وربَّما مات منه؛ ثم استُعْمل في الموت كثيرًا. قاله ابن الأثير في (النهاية في غريب الحديث): ٣/ ٣٢.

وَهُوَ يَلِيطُ حَوْضَهُ، فَلا يَسْقِي فِيهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أَحَدُكُمْ أُكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ، فَلا يَطْعَمُهَا»(١).

وفي حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي رواه أحمد ومسلم: «.. **ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَلاَ يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلاَّ أَصْغَى لِيتًا، وَرَفَعَ لِيتًا**»، قَالَ: «**وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ**» قَالَ: «**فَيَصْعَقُ، وَيَصْعَقُ النَّاسُ..**» الحديث(٢). والليت: صفحة العنق؛ و«**يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ**» أي: يصلحه ويطينه.

وروى الطبراني والحاكم وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي عَنْ عُقْبَةَ بن عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تَطْلُعُ عَلَيْكُمْ قَبْلَ السَّاعَةِ سَحَابَةٌ سَوْدَاءُ مِنَ الْمَغْرِبِ، مِثْلُ التُّرْسِ، فَمَا زَالَ تَرْتَفِعُ فِي السَّمَاءِ وَتَنْتَشِرُ، حَتَّى تَمْلأَ السَّمَاءَ؛ ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، فَيُقْبِلُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ: هَلْ سَمِعْتُمْ؟ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: نَعَمْ؛ ثُمَّ يُنَادِي الثَّانِيَةَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ**: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾؛ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

---

(١) أحمد: ٢/ ٣٦٩، والبخاري (٦٥٠٦).

(٢) أحمد: ٢/ ١٦٦، ومسلم (٢٩٤٠)؛ والليت: هو صفحة العنق، أي: أمال عنقه ليستمعه من السماء جيدًا.

«فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ الرَّجُلانِ لَيَنْشُرَانِ الثَّوْبَ، فَمَا يَطْوِيَانِهِ؛ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَمْدُرُ حَوْضَهُ(١)**، فَمَا يَسْقِي مِنْهُ شَيْئًا أَبَدًا، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَحْلِبُ نَاقَتَهُ، فَمَا يَشْرَبُهُ أَبَدًا»**(٢).

فهذه الأحاديث تخبر عن سرعة قيام الساعة، وأن من تقوم عليهم الساعة هم شرار الناس، وأنهم تظلهم سحابة سوداء، تطلع من جهة المغرب، وتنتشر حتى تملأ السماء، وينادي مناد: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾ **[النحل: ١]**، ثم ينفخ في الصور.

* نفخة الصعق *

نفخة الصعق هي نفخة الفزع عند جمهور العلماء، فعندما ينفح إسرافيل النفخة الأولى، يفزع الناس، ثم يصعقون، قال

---

(١) قال ابن قتيبة في غريب الحديث: ٢/ ٣٥٠: يقال: هو يَمْدُر حَوْضه، إذا أخذ المَدَر فسدَّ به خَصاص ما بين حجارته.

(٢) الطبراني في الكبير: ١٧/ ٣٢٥ (٨٩٩)، وقال المنذري في الترغيب: ٣٨٢/٤: بإسناد جيد؛ رواته ثقات مشهورون.ا.هـ. وقال الهيثمي في المجمع: ١٠/ ٣٣١: ورجاله رجال الصحيح، إلا محمد بن عبد الله مولى المغيرة، وهو ثقة. اهـ. والحاكم: ٤/ ٥٣٩، ٥٤٠، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]؛ وقال ﷻ: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾ [النمل: ٨٧]، وقال ﷻ: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدثر: ٨- ١٠]، وقال ﷻ: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ [ص: ١٥]، وقال سبحانه: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٤٨- ٥٠]؛ قال ابن كثير رحمه الله: أي ما ينتظرون إلا صيحة واحدة، وهذه- والله أعلم- نفخة الفزع، ينفخ في الصور نفخة الفزع، والناس في أسواقهم ومعايشهم يختصمون ويتشاجرون على عادتهم، فبينما هم كذلك إذ أمر الله ﷻ إسرافيل فنفخ في الصور نفخة يطولها ويمدها، فلا يبقى أحد على وجه الأرض إلا أصغى ليتًا ورفع ليتًا، وهي صفحة العنق، يتسمع الصوت من قبل السماء، ثم يساق الموجودون من الناس إلى محشر القيامة بالنار، تحيط بهم من جوانبهم،

ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ أي: على ما يملكونه، الأمر أهم من ذلك، ﴿وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾. اهـ[1].

* كم بين النفختين *

بين نفخة الصعق ونفخة البعث أربعون، ففي الصحيحين وغيرهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ**»، قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ؛ قَالُوا: أَرْبَعُونَ شَهْرًا، قَالَ: أَبَيْتُ، قَالُوا: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيْتُ؛ «**ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً، فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ**»؛ قَالَ: «**وَلَيْسَ مِنَ الإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلاَّ يَبْلَى، إِلاَّ عَظْمًا وَاحِدًا، وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[2]. وأَبَيْت، مَعْنَاهُ: اِمْتَنَعْت مِنْ تَبْيِينِهِ، لِأَنِّي لَا أَعْلَمُهُ، فَلَا أَخُوضُ فِيهِ بِالرَّأْيِ. ولم يصح في تحديد هذه الأربعين

---

(١) انظر (فتح الجواد الكريم في اختصار وتحقيق تفسير القرآن العظيم) للمؤلف: ٣/ ٥٩٣.

(٢) البخاري (٤٨١٤، ٤٩٣٥)، ومسلم (٢٩٥٥).

شيء، فنقول في تبيينها ما قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أبيت... والعلم عند الله تعالى.

* ما يحدث بين النفختين *

وبعد نفخة الصعق يُنْزِل الله مطرًا خفيفًا كأنه الطل، تنبت منه أجساد الناس، كما ينبت الشجر من الحب إذا أصابه الماء؛ كما في حديث أبي هريرة المتقدم.

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**يَأْكُلُ التُّرَابُ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ الْإِنْسَانِ، إِلَّا عَجْبَ ذَنَبِهِ**» قِيلَ: وَمِثْلُ مَا هُوَ، يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**مِثْلُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ، مِنْهُ تَنْبُتُونَ**» رواه أحمد وأبو يعلى، ورواه بنحوه ابن حبان والحاكم(١). وفي حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ**- أَوْ قَالَ: **يُنْزِلُ اللَّهُ- مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ أَوِ الظِّلُّ**(٢)-

---

(١) أحمد: ٣/ ٢٨، وأبو يعلى (١٣٨٢)، وابن حبان (٣١٤٠)، والحاكم (٨٨٠١) وصححه؛ وإسناده حسن.

(٢) قال النووي في (شرح مسلم: ١٨/ ٧٧): قال العلماء: الأصح بالمهملة (الطل)، وهو الموافق للحديث الآخر أنه كمنى الرجال. ا.هـ. ونعمان هو ابن سالم أحد رواة الحديث.

نُعْمَانُ الشَّاكُّ- **فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ..**»(١).

❊ نفخة البعث ❊

بعد تكامل الخلق، ينفخ في الصور نفخة البعث، فترد كل روح في جسدها، ليقوم الناس لربِّ العالمين، حفاة، عراة، غرلا، كما ولدتهم أمهاتهم؛ ففي الصحيحين عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً، عُرَاةً، غُرْلًا**»؛ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، النِّسَاءُ وَالرِّجَالُ جَمِيعًا، يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ؟ قَالَ ﷺ: «**يَا عَائِشَةُ، الأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ**»(٢). ورواه الطبراني والحاكم عن سودة زوج النبي ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**يُبْعَثُ النَّاسُ حُفَاةً، عُرَاةً، غُرْلًا، يُلْجِمُهُمُ الْعَرَقُ، وَيَبْلُغُ شَحمَةَ الأُذُنِ**»، قالت: قلت: يا رسول الله، واسوءتاه! ينظر بعضنا إلى بعض؟! قال: «**شُغِلَ النَّاسُ عَنْ ذَلِكَ**» وتلا

---

(١) أحمد: ٢/ ١٦٦، مسلم (٢٩٤٠).

(٢) البخاري (٦٥٢٧)، ومسلم (٢٨٥٩).

رسول الله ﷺ: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤- ٣٧]»(١).

* البعـــث *

البعث لغة: التحريك والإثارة؛ وشرعًا: إعادة الأبدان وإدخال الأرواح فيها، فيخرج الناس عند نفخة البعث أحياء ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر: ٨].

والإيمان به واجب، وإنكاره كفر ناقل عن الملة، وقد أقام الله تعالى الأدلة على البعث في كتابه لدحض شبه المتشككين، ورد افتراء الكافرين، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ﴾ [النحل: ٣٨، ٣٩].

---

(١) الطبراني في الكبير: ٢٤/ ٣٤ (٩١)، وقال الهيثمي في المجمع: ١٠/ ٣٣٣: رجاله رجال الصحيح، غير محمد بن عياش وهو ثقة.ا.هـ. ورواه الحاكم: ٢/ ١٥٤، ٥١٥، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي؛ واللفظ للحاكم.

وهذه الأدلة على كثرتها تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: أن الله على كل شيء قدير؛ فلا يعجزه إعادة الأجسام بعد أن رمت، فأول الأدلة على البعث أنه أمر يسير على الله تعالى، قال جل وعلا: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [التغابن: ٧]؛ لأن الذي بدأ الخلق من العدم لا يعجزه أن يعيده بعد أن صار رميمًا، بل الخلق من العدم- في تقدير البشر- أشد وأصعب من إعادة الرفات إلى ما كانت عليه قبل أن تموت، ومن هنا قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ **[الروم: ٢٧]**.

وليس هناك شيء هو أصعب على الله تعالى، ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، فالإرادة التي تخلق بمجرد توجه المشيئة إلى الخلق، يستوي عندها الواحد والكثير، فهي لا تبذل جهدًا في خلق كل فرد، ولا تكرر الجهد مع كل فرد، وعندئذ يستوي خلق الواحد وخلق الكثيرين، وبعث الواحد وبعث الكثيرين، قال جل وعلا: ﴿مَّا خَلۡقُكُمۡ

﴿وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [لقمان: ٢٨]، قال ابن كثير في تفسيره: أي ما خلق جميع الناس وبعثهم يوم المعاد بالنسبة إلى قدرته، إلا كنسبة خلق نفس واحدة، الجميع هين عليه: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾، ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠]: أي لا يأمر بالشيء إلا مرة واحدة، فيكون ذلك الشيء، لا يحتاج إلى تكرره وتوكيده، ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات: ١٣، ١٤]، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ أي: كما هو سميع لأقوالهم (أي: لأقوال جميع الخلق)، بصير بأفعالهم (أي: بأفعال جميع الخلق)، كسمعه وبصره بالنسبة إلى نفس واحدة، كذلك قدرته عليهم كقدرته على نفس واحدة. اهـ(١).

وروى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**قَالَ اللَّهُ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ؛ وَشَتَمَنِي، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ؛ فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ، فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي،**

(١) انظر فتح الجواد الكريم: ٣/ ٤٧٣.

وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ؛ وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ، فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا، وَأَنَا الْأَحَدُ، الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ، وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفْئًا أَحَدٌ»(١).

وروى الحاكم والضياء في المختارة عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن العاص بن وائل السهمي أخذ عظمًا من البطحاء، ففته بيده، ثم قال لرسول الله ﷺ: أيحيى الله هذا بعدما أرى؟ قال رسول الله ﷺ: «**نَعَمْ؛ يُمِيتُكَ اللَّهُ ثُمَّ يُحْيِيكَ، ثُمَّ يُدْخِلُكَ نَارَ جَهَنَّمَ**»؛ قال: فنزلت الآيات من آخر يس(٢). وهي ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّـٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾

(١) البخاري (٣١٩٣، ٤٩٧٤، ٤٩٧٥).

(٢) الحاكم: ٢/ ٤٢٩؛ وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، والضياء في المختارة: ١٠/ ٨٧، ٨٨ (٨٢).

[يس: ٧٧ – ٨٢]؛ وفي هذه الآيات عدة أدلة على البعث:

أولها: أن الذي بدأ خلق الإنسان قادر على أن يعيده بعد موته.

وثانيها: أن الذي أنشأ العظام وكساها لحما قادر على أن يعيدها بعد أن ترم.

ثالثها: أن الذي أخرج لكم من الشجر الأخضر نارًا تحرق الشجر لا يمتنع عليه فعل ما أراد، ولا يعجز عن إحياء العظام التي قد رمت، وإعادتها بشرًا سويًّا، وخلقًا جديدًا، كما بدأها أول مرة؛ وذلك أن الكافر قال: النطفة حارة رطبة بطبع الحياة، فخرج منها الحياة، والعظم بارد يابس بطبع الموت، فكيف تخرج منه الحياة؟! فأنزل الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ﴾ أي: إن الشجر الأخضر من الماء، والماء بارد رطب ضد النار، وهما لا يجتمعان، فأخرج الله منه النار، فهو القادر على إخراج الضد من الضد، وهو على كل شيء قدير.

الرابع: أن الذي خلق السماوات والأرض يقدر على أن يبعثهم وهو الخلاق العليم، قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ

ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف: ٣٣]؛ ذلك لأن خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس؛ قال الخالق جل ذكره: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [غافر: ٥٧].

* القسم الثاني: الاستدلال بالنشأة الأولى على النشأة الآخرة *

قال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾ الآية [الحج: ٥].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: يا أيها الناس إن كنتم في شك من قدرتنا على بعثكم من قبوركم بعد مماتكم وبلائكم،

استعظاما منكم لذلك؛ فإن في ابتدائنا خلق أبيكم آدم ﷺ من تراب، ثم إنشائناكم (أي: إنشاؤنا لكم) من نطفة آدم، ثم تصريفناكم (أي: تصريفنا لكم) أحوالا؛ حالا بعد حال: من نطفة إلى علقة، ثم من علقة إلى مضغة، لكم معتبرًا ومتعظًا تعتبرون به، فتعلمون أن من قدر على ذلك فغير متعذر عليه إعادتكم بعد فنائكم، كما كنتم أحياء قبل الفناء.ا.هـ[(١)].

ويتكرر هذا المشهد في القرآن ليدل على قدرة الله تعالى، وليرد على منكري البعث.

وروى أحمد وابن ماجه عن بسر بن جحاش القرشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بَزَقَ النَّبِيُّ ﷺ فِي كَفِّهِ، ثُمَّ وَضَعَ أُصْبُعَهُ السَّبَّابَةَ، وَقَالَ: «**يَقُولُ اللَّهُ** عَزَّ وَجَلَّ: **أَنَّى تُعْجِزُنِي ابْنَ آدَمَ، وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ، فَإِذَا بَلَغَتْ نَفْسُكَ هَذِهِ**- وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ – **قُلْتَ: أَتَصَدَّقُ، وَأَنَّى أَوَانُ الصَّدَقَةِ؟**»[(٢)].

ولما أنكر الكافرون البعث، وقالوا: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقًا جَدِيدًا﴾ جاء الجواب: ﴿**قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ**

---

(١) انظر ابن جرير: ١٧/ ١١٦ (دار الفكر).

(٢) أحمد: ٤/ ٢١٢، وابن ماجه (٢٧٠٧) وإسناده صحيح.

حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الإسراء: ٥٠- ٥١].

قال شارح الطحاوية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فتأمل ما أجيبوا به عن كل سؤال على التفصيل، فإنهم قالوا أولًا: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾، فقيل لهم جوابًا: إن كنتم تزعمون أن لا خالق لكم، ولا رب لكم، فهلا كنتم خلقًا لا يفنيه الموت، كالحجارة والحديد، أو ما هو أكبر في صدوركم من ذلك؟! فإن قلتم: كنا على هذه الصفة التي لا تقبل البقاء، فما الذي يحول بين خالقكم ومنشئكم وبين إعادتكم خلقًا جديدًا؟!

أو للحجة تقرير آخر وهو: لو كنتم حجارة أو حديدًا أو خلقًا أكبر منهما، فالله تعالى قادر على أن يفنيكم ويحيل ذواتكم، وينقلها من حال إلى حال، ومن يقدر على التصرف في هذه الأجسام من شدتها وصلابتها بالإفناء والإحالة، فما الذي يعجزه فيما دونها؟!

ثم أخبر أنهم يسألون سؤالا آخر بقولهم: من يعيدنا إذا

استحالت جسومنا؟ فأجابهم: ﴿قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾؛ فلما أخذتهم الحجة، ولزمهم حكمها، انتقلوا إلى سؤال آخر يتعللون به بعلل المنقطع، وهو قولهم: متى هو؟ فأجيبوا: ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾. اهـ(١).

وقال الله جلَّ ذكره: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة: ٣٦ – ٤٠]؛ بلى قادر، وهو على كل شيء قدير.

* القسم الثالث: الاستدلال بإحياء موات الأرض *

قال ﷻ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩]، وخشوع الأرض: سكونها قبل نزول الماء، فلا حياة فيها ولا نبات؛ والمعنى: أن من البراهين الدالة على كمال قدرته تبارك وتعالى، والعلامات المظهرة ليسر إحياء الله تعالى الموتى وبعثهم من قبورهم، أنك ترى الأرض

---

(١) انظر (شرح الطحاوية): ٢/ ٢١٦، ٢١٧ (دار البصيرة).

ساكنة هامدة، لا حياة فيها، فهي ميتة، فإذا أنزل الله تعالى عليها الماء، تحركت وأخرجت من جميع الزروع وألوان الثمار، فالله القدير الذي أحيا الأرض بعد موتها، هو الذي يحيي الموتى، وهو على كل شيء قدير.

ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ **[الحج: ٥- ٧]**.

وهكذا يتكرر المشهد- أيضًا- كنموذج للإحياء في الآخرة، ودليلا على طلاقة القدرة، فمشهد الإحياء في الأرض قريب من كل قلب وعقل، وما على الإنسان إلا أن يُعمل الإحساس والفكر، فيرى هذه الدلالة واضحة جلية.

وروى أحمد والطيالسي والطبراني في الكبير والحاكم وصححه ووافقه الذهبي عَنْ أَبِي رَزِينٍ الْعُقَيْلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَكُلُّنَا يَرَى رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ وَمَا آيَةُ ذَلِكَ فِي خَلْقِهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلَيْسَ كُلُّكُمْ يَنْظُرُ إِلَى الْقَمَرِ مُخْلِيًا بِهِ؟**» قَالَ: بَلَى؛ قَالَ: «**فَاللَّهُ أَعْظَمُ**»، قَالَ: قُلْتُ: يَا

رَسُولَ×اللهِ، كَيْفَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَى؟ وَمَا آيَةُ ذَلِكَ فِي خَلْقِهِ؟ قَالَ: «**أَمَا مَرَرْتَ بِوَادِي أَهْلِكَ مَحْلًا؟**» قَالَ: بَلَى؛ قَالَ: «**أَمَا مَرَرْتَ بِهِ يَهْتَزُّ خَضِرًا؟**» قَالَ: قُلْتُ: بَلَى؛ قَالَ: «**ثُمَّ مَرَرْتَ بِهِ مَحْلًا؟**» قَالَ: بَلَى؛ قَالَ: «**فَكَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى، وَذَلِكَ آيَتُهُ فِي خَلْقِهِ**» هذا لفظ أحمد والحاكم(١).

تلكم الحجج البينات القاطعات، فهل بعد إقامة هذه الحجج لأحد أن يتشكك أو يرتاب في البعث؟ اللهم لا، إلا من خُتم على قلبه، وأغلق على عقله، فكان ممن حكى الله عنهم قولهم: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ فرد الله تعالى عليهم هذه الفرية بقوله: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

[الجاثية: ٢٤- ٢٦].

فهؤلاء المنكرون ردَّ الله تعالى عليهم بأن إنكارهم لا

---

(١) أحمد: ٤/ ١١، وأبو داود (٤٧٣١)، وابن ماجه (١٨٠)، والحاكم: ٤/ ٥٦٠، وصححه، ووافقه الذهبي.

معنى له، ولا دليل عليه، وإنما دعاهم إلى هذا القول الظن، والظن ليس علمًا، ولا يغني من الحق شيئًا، وسبب ذلك أنهم يجهلون عظمة الله تعالى وقدرته وحكمته وعلمه، ثم هم لا يتفكرون في أنفسهم، فهم أنفسهم أول الدلائل وأقوى الحجج على إثبات ما ينكرون، فالله تعالى أحياهم أولا، ويميتهم ثانيًا، ولا تزال القدرة صالحة لإحيائهم مرة أخرى، وجمعهم يوم القيامة، فأي استبعاد في هذا؟!

* ومن الأدلة على البعث وقوع إحياء الموتى في الدنيا *

أخبر الله تعالى عن وقوع إحياء الموتى في الحياة الدنيا، ومشاهدة الناس الذين عاصروا ذلك لها، وإخبارهم بها، وتناقل ذلك عبر العصور؛ فقد سأل خليل الرحمن إبراهيم ﷺ أن يريه الله كيف يحيي الموتى؟ قال الله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

وتكرر الأمر في بني إسرائيل مرارًا: مع الذين اختارهم موسى لميقات ربه، قال جل وعلا: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

ومع أصحاب البقرة، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

ومع الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

ومع الذي مر على القرية، قال ﷻ: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ

نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

هذه الآيات كلها من سورة البقرة؛ وهي واضحة في بيان إحياء الموتى؛ بل جعل الله تعالى من معجزات عيسى عليه السلام أنه يحيي الموتى بإذنه سبحانه.

❊ صفة الكفار عند بعثهم ❊

قال الله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر: ٦- ٨]؛ وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس: ٥١]؛ وقال عز وجل: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾ [المعارج: ٤٣، ٤٤]؛ والأجداث: القبور؛ ومهطعين، أي: مسرعين مديمي النظر؛ وينسلون، أي: يخرجون مسرعين.

فبعد نفخة البعث يخرج الكفار من قبورهم مسرعين، مديمي النظر، ذليلين، ينتشرون يركب بعضهم بعضًا.

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: ٤]؛ والمبثوث: المتفرق المنتشر؛ فهما صفتان في وقتين مختلفين، **أحدهما**: عند الخروج من القبور، يخرجون فزعين لا يهتدون أين يتوجهون، فيدخل بعضهم في بعض؛ فهم حينئذ كالفراش المبثوث بعضه في بعض، لا جهة له يقصدها. **الثاني**: إذا سمعوا المنادي قصدوه، فصاروا كالجراد المنتشر؛ لأن الجراد له جهة يقصدها[1].

قال البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأما قول الله عَزَّ وَجَلَّ في صفة الكفار يوم القيامة: ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ﴾، وقوله: ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ﴾ فإن المراد بذلك- والله أعلم- حال مضيهم إلى الموقف؛ وقوله: ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٣]، وإنما هو إذا طال القيام عليهم في الموقف، فيصيرون في الحيرة كأنهم لا قلوب لهم، ويرفعون رؤوسهم فينظرون النظر الطويل الدائم، ولا يرتد إليهم طرفهم، كأنهم قد نسوا الغمض، أو جهلوه؛ والناس في القيامة لهم أحوال

(١) انظر (تفسير القرطبي): ١٧/ ١٣٠.

ومواقف، واختلاف الأخبار عنهم لاختلاف مواقفهم وأحوالهم[١].

* يبعث كل عبد على ما مات عليه *

إن الله الكريم قد أجرى قدره- بكرمه- أنه من عاش على شيء مات عليه، ومن مات على شيء بعث عليه؛ روى أحمد ومسلم عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ**»[٢]. قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: قال العلماء: معناه يبعث على الحالة التي مات عليها[٣].

وفي الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لا يُكْلَمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ- وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِهِ- إِلا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجُرْحُهُ يَثْعَبُ؛ اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ، وَالرِّيحُ رِيحُ مِسْكٍ**»[٤].

وفيهما عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: خَرَّ رَجُلٌ مِنْ بَعِيرِهِ،

---

(١) انظر (شعب الإيمان): ١/ ٣٢٠.

(٢) أحمد: ٣/ ٣٣١، ومسلم (٢٨٧٨).

(٣) شرح مسلم: ١٧/ ٢١٠.

(٤) البخاري (٥٥٣٣)، ومسلم (١٨٧٦).

فَوُقِصَ فَمَاتَ، فَقَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «**اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَكَفِّنُوهُ فِي ثَوْبَيْهِ، وَلا تُخَمِّرُوا رَأْسَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَبِّيًا**»(١)، وكان ذلك في حجة الوداع.

وروى أحمد والطبراني عن فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ مَاتَ عَلَى مَرْتَبَةٍ مِنْ هَذِهِ الْمَرَاتِبِ، بُعِثَ عَلَيْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»؛ قَالَ حَيْوَةُ: يَقُولُ: رِبَاطٌ، أَوْ حَجٌّ، أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ(٢).

وروى أبو داود والحاكم عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَخْبِرْنِي عَنِ الْجِهَادِ وَالْغَزْوِ؟ فَقَالَ: «**يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو، إِنْ قَاتَلْتَ صَابِرًا مُحْتَسِبًا بَعَثَكَ اللَّهُ صَابِرًا مُحْتَسِبًا، وَإِنْ قَاتَلْتَ مُرَائِيًا مُكَاثِرًا بَعَثَكَ اللَّهُ مُرَائِيًا مُكَاثِرًا، يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو، عَلَى أَيِّ حَالٍ قَاتَلْتَ أَوْ قُتِلْتَ بَعَثَكَ اللَّهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ**»(٣).

---

(١) البخاري (١٢٦٥ – ١٢٦٧)، ومسلم (١٢٠٦).

(٢) أحمد: ٦/ ١٩، ٢٠، وإسناده حسن، ورواه الطبراني في الكبير: ١٨/ ٣٥٠ (٧٨٤، ٧٨٥)، وحيوة هو ابن شريح أحد رواة الحديث.

(٣) أبو داود (٢٥١٩)، والحاكم (٢٤٣٧)، وصححه.

وعند أحمد ومسلم عن أَبي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا، تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ**»[(١)].

وقوله ﷺ: «**تُقَامُ**» أي: تقام من قبرها وتحشر.

وقوله ﷺ: «**سِرْبَالٌ**» أي: هو القميص والدرع، والمراد هنا- والله أعلم- الشِّعار الذي يلي الجسد؛ لأن الدرع مذكور في الحديث، وذلك يقتضي المغايرة.

* * *

(١) أحمد: ٥/ ٥٤٢، ومسلم (٩٣٤).

* الحشر يوم القيامة *

الحشر لغة: الجمع والضم؛ **وشرعًا:** جمع الأولين والآخرين يوم القيامة، وسوقهم إلى مكان حسابهم، فيحاسبون على ما قدموا، وتوزن أعمالهم، ويَعرف كل واحد مصيره.

والحشر يوم القيامة حشران- كما تقدم؛ **الأول:** بعد ما ينفخ في الصور نفخة البعث، فيبعث الموتى، ثم يحشرون إلى أرض الموقف، قال تعالى: ﴿**وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**﴾ [المؤمنون: ٧٩].

و**الحشر الثاني:** حشر الناس إلى دار المستقر: الجنة، أو النار.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الحشر هو الضم والجمع، ويراد به تارة: الحشر إلى موقف القيامة، كقول النبي ﷺ: «**إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَى اللَّهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا**»(١)، وكقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ**﴾ [التكوير: ٥]، وكقوله تعالى: ﴿**وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ**

(١) البخاري (٤٣٤٩، ٤٤٦٣)، عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧]؛ ويراد به الضم والجمع إلى دار المستقر، فحشر المتقين جمعهم وضمهم إلى الجنة، وحشر الكافرين جمعهم وضمهم إلى النار؛ قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٢، ٢٣][(١)].

* الحشر عام لجميع المخلوقات *

هذا الحشر لا يختص بالإنس والجن فقط، بل يعم سائر المخلوقات، قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وهذا يشمل جميع المخلوقات من حشرات وهوام وفقاريات ومخلوقات تطير، وجميع هذه المخلوقات علمها عند الله، لا ينسى منها شيئًا من رزقه وتدبيره، سواء كان بريًّا أو بَحريًّا، فما ترك الله تعالى شيئًا من خلقه بلا تدبير يشمله، وعلم يحصيه، وفي النهاية تحشر

---

(١) انظر (مفتاح دار السعادة): ١/ ٤٥، ٤٦.

جميع الخلائق إلى ربها، فيقضي في أمرها ما يشاء.

روى أحمد ومسلم والترمذي عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ**»؛ والجلحاء: التي لا قرن لها؛ وفي رواية لأحمد: «**يقْتَصُّ للْخَلْقِ بَعْضهُمْ مِنْ بَعْضٍ، حَتَّى للْجَمَاء مِنَ الْقَرنَاءِ، وَحَتَّى للذَّرَّة مِنَ الذَّرَّةِ**»(١).

والذرة: صغيرة النمل.

* صفة أرض المحشر *

أرض المحشر يوم القيامة بيضاء عفراء، أي: ليست شديدة البياض، وإنما يشبه بياضها بياض الرغيف المنخول دقيقه المنظف، ويحشر الناس عليها جميعًا، قال الله تعالى: ﴿ يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، وروى الشيخان عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ، كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ، لَيْسَ فِيهَا عَلَمٌ لأَحَدٍ**»، وفي

---

(١) أحمد: ٢/ ٢٣٥، ٣٠١، ومسلم (٢٥٨٢)، والترمذي (٢٤٢٠).

رواية: «**لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ**»[(١)].

والعفراء هي البيضاء ليس بياضها بالناصع، والنَقِيّ هو الخبز الأبيض، والمعلم بفتح الميم: ما يجعل علمًا وعلامة للطريق والحدود، وقيل: المعلم الأثر، ومعناه أنها لم توطأ قبل، فيكون فيها أثر، أو علامة لأحد؛ فهذه صفة الأرض التي يحشر الناس عليها يوم القيامة.

* صفة الناس في أرض المحشر *

أما صفة الناس في أرض المحشر؛ فالمؤمنون يكونون ناضري الوجوه، مشروحي الصدور؛ والمشركون يكونون سود الوجوه، زرقًا، مكروبين، قال الله ﷻ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٦-١٠٨]؛ وذلك حين يبعثون من قبورهم، تكون وجوه المؤمنين مُبيضَّة،

---

(١) البخاري (٦٥٢١)، ومسلم (٢٧٩٠).

ووجوه الكافرين مسودة؛ وقيل: إن ذلك عند قراءة الكتاب، فإذا قرأ المؤمن كتابه، فرأى في كتابه حسناته استبشر، وابيض وجهه، وإذا قرأ الكافر والمنافق كتابه، فرأى فيه سيئاته، اسوَّد وجهه؛ والعلم عند الله تعالى(١).

وقال تعالى: ﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ وَنَحۡشُرُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ زُرۡقٗا﴾ [طه: ١٠٢]؛ أي: تشوه خلقتهم بزرقة عيونهم وسواد وجوههم؛ وقيل: ﴿زُرۡقٗا﴾ أي: عميًا، وقيل: عطاشًا، قد ازرقت أعينهم من شدة العطش، وقيل: زرق العيون من شدة ما هم فيه من الأهوال(٢).

وتقدم حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً، عُرَاةً، غُرْلًا**»؛ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، النِّسَاءُ وَالرِّجَالُ جَمِيعًا، يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ؟ قَالَ ﷺ: «**يَا عَائِشَةُ، الأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ**».

---

(١) انظر تفسير القرطبي عند الآية (١٠٦) من سورة آل عمران.

(٢) انظر تفسير القرطبي: ١١/ ٢٤٤، وتفسير الطبري: ١٦/ ٢١٠، وتفسير ابن كثير: ٣/ ١٦٦.

قال العلماء: يحشر العبد غدًا وله من الأعضاء ما كان له يوم ولد، فمن قطع منه عضو، يُـرَدُّ في القيامة عليه، وهذا معنى قوله ﷺ: «**غُرْلًا**» غير مختونين، أي: يرد عليهم ما قطع منهم عند الختان.

وفي الصحيحين عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ خَطِيبًا بِمَوْعِظَةٍ فَقَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ إِلَى اللَّهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا،** ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]؛ أَلا وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلائِقِ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَلا وَإِنَّهُ سَيُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي! فَيُقَالُ: إِنَّكَ لا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٧، ١١٨]»؛ قَالَ: «**فَيُقَالُ لِي: إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ**»(١).

---

(١) البخاري (٣٣٤٩، ٤٦٢٥)، ومسلم (٢٨٦٠).

قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله: «**عُرَاةً**»، قال البيهقي: وقع في حديث أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- يعني الذي أخرجه أبو داود وصححه ابن حبان- أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ دَعَا بِثِيَابٍ جُدُدٍ فَلَبِسَهَا، ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ الْمَيِّتَ يُبْعَثُ فِي ثِيَابِهِ الَّتِي يَمُوتُ فِيهَا**»(١). ويجمع بينهما، بأن بعضهم يحشر عاريًا، وبعضهم كاسيًا، أو يحشرون كلهم عراة، ثم يُكسى الأنبياء، فأول من يكسى إبراهيم عليه الصلاة والسلام؛ أو يخرجون من القبور بالثياب التي ماتوا فيها، ثم تتناثر عنهم عند ابتداء الحشر، فيحشرون عراة، ثم يكون أول من يُكسى إبراهيم؛ وحَمَلَ بعضهم حديث أبي سعيد على الشهداء؛ لأنهم الذين أمر أن يزمَّلُوا في ثيابهم، ويدفنوا فيها، فيحتمل أن يكون أبو سعيد سمعه في الشهيد، فحمله على العموم؛ وممن حمله على عمومه معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فأخرج ابن أبي الدنيا بسند حسن عن عمرو بن الأسود قال: دفنا أم معاذ بن جبل، فأمر بها فكفنت في ثياب جدد، وقال:

---

(١) أبو داود (٣١١٤)، وابن حبان (٧٣١٦)؛ ورواه الحاكم: ١/ ٤٩٠ (١٢٦٠) وصححه على شرط الشيخين.

أحسنوا أكفان موتاكم، فإنهم يحشرون فيها؛ قال: وحمله بعض أهل العلم على العمل؛ وإطلاق الثياب على العمل وقع في مثل قوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: ٤]، على أحد الأقوال، وهو قول قتادة، قال: معناه وعملك فأخلصه(١).

* أحوال الناس في أرض المحشر *

روى الشيخان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يَعْرَقُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ فِي الْأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعًا، وَيُلْجِمُهُمْ، حَتَّى يَبْلُغَ آذَانَهُمْ**» لفظ البخاري(٢). ويلجمهم: يبلغ أفواههم كاللجام.

وروى الجماعة إلا أبا داود عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [المطففين ٦]؛ قَالَ: «**يَقُومُ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ**»، وفي رواية: «**حَتَّى يَغِيبَ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ**»(٣).

---

(١) انظر فتح الباري: ١١/ ٣٨٣، وشعب الإيمان للبيهقي: ١/ ٣٢٠.

(٢) البخاري (٦٥٣٢)، ومسلم (٢٨٦٣).

(٣) أحمد: ٢/ ١٣، ١٩، البخاري (٤٩٣٨، ٦٥٣١)، ومسلم (٢٨٦٢)،=

وروى أحمد ومسلم والترمذي عَنْ الْمِقْدَادِ بْنِ الأَسْوَدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ**»؛ قَالَ سُلَيْمُ ابْنُ عَامِرٍ: فَوَاللهِ، مَا أَدْرِى مَا يَعْنِى بِالْمِيلِ: أَمَسَافَةَ الأَرْضِ، أَمِ الْمِيلَ الَّذِى تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ؛ قَالَ: «**فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا**»؛ قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ(١).

وروى أحمد والطبراني والحاكم عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**تَدْنُو الشَّمْسُ مِنْ الْأَرْضِ، فَيَعْرَقُ النَّاسُ؛ فَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَبْلُغُ عَرَقُهُ عَقِبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ الْعَجُزَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ الْخَاصِرَةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ**

= والترمذي (٢٤٢٢، ٣٣٣٥، ٣٣٣٦)، والنسائي في الكبرى (١١٦٥٧)، وابن ماجه (٤٢٧٨).

(١) أحمد: ٦/ ٣، ومسلم (٢٨٦٤)، والترمذي (٢٤٢١).

مَنْكِبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ عُنُقَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ وَسَطَ فِيهِ- وَأَشَارَ بِيَدِهِ فَأَلْجَمَهَا فَاهُ- رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُشِيرُ هَكَذَا: «**وَمِنْهُمْ مَنْ يُغَطِّيهِ عَرَقُهُ**» وَضَرَبَ بِيَدِهِ إِشَارَةً؛ وعند الحاكم: وضرب بيده وأشار، وأَمَرَّ يده فوق رأسه- من غير أن يصيب الرأس دَوْرَ راحتيه- يمينًا وشمالًا[(١)].

وروى الطبراني في الأوسط بإسناد جيد عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَمْ يَلْقَ ابْنُ آدَمَ شَيْئًا قَطُّ مُنْذُ خَلَقَهُ اللَّهُ أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ الْمَوْتِ، ثُمَّ إِنَّ الْمَوْتَ أَهْوَنُ مِمَّا بَعْدَهُ، وَإِنَّهُمْ لَيَلْقَوْنَ مِنْ هَوْلِ ذَلِكَ الْيَوْمَ شِدَّة، حَتَى يُلْجِمُهُم الْعَرَقُ، حَتَى إِنَّ السُّفُنَ لَوْ أُجْرِيتْ فِيهِ لَجَرَتْ**»[(٢)].

وكذلك هم يختلفون في طريقة الحشر اختلافًا بينًا حسب أعمالهم: فمن صلحت عقيدته، وزكت نفسه، يحشر على

---

(١) أحمد: ٤/ ١٥٧. ورواه الطبراني في الكبير: ١٧/ ٣٠٢ (٨٣٤)، ١٧/ ٣٠٦ (٨٤٤)، وابن حبان (٧٣٢٩)، والحاكم: ٤/ ٥٧١، وصححه، ووافقه الذهبي، وهو كما قالا.

(٢) الطبراني في الأوسط (١٩٧٦)، وقال المنذري في الترغيب: ٤/ ٢١٠، والهيثمي في مجمع الزوائد: ١٠/ ٣٣٤: إسناده جيد.

أحسن حال، راكبًا أو ماشيا، ويحشر العصاة حسب أحوالهم، وأما الكافرون فيحشرون على وجوههم؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةُ أَصْنَافٍ: صِنْفٌ مُشَاةٌ، وَصِنْفٌ رُكْبَانٌ، وَصِنْفٌ عَلَى وُجُوهِهِمْ**»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَيْفَ يَمْشُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ؟ قَالَ: «**إِنَّ الَّذِي أَمْشَاهُمْ عَلَى أَرْجُلِهِمْ، قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ؛ أَمَا إِنَّهُمْ يَتَّقُونَ بِوُجُوهِهِمْ كُلَّ حَدَبٍ وَشَوْكٍ**» رواه أحمد والطيالسي والترمذي، وقال حديث حسن(١).

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿**ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا**﴾ [**الفرقان: ٣٤**]، وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ﴾ [**القمر: ٤٨**].

وروى أحمد والشيخان عَنْ قَتَادَةَ: حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، يُحْشَرُ الْكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «**أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى الرِّجْلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا**

---

(١) أحمد: ٢/ ٣٥٤، ٣٦٣، والطيالسي (٢٥٦٦)، والترمذي (٣١٤٢).

عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟»، قَالَ قَتَادَةُ: بَلَى، وَعِزَّةِ رَبِّنَا(١).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُوَرِ النَّاسِ، يَعْلُوهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مِنْ الصَّغَارِ، حَتَّى يَدْخُلُوا سِجْنًا فِي جَهَنَّمَ، يُقَالُ: لَهُ بُولَسُ؛ فَتَعْلُوَهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ، يُسْقَوْنَ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ: عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ**»؛ رواه أحمد والبخاري في (الأدب المفرد) والترمذي(٢).

فهذه أحوال الناس في يوم يطول على الكافرين، ويخفف على المؤمنين.

إنه أمر شديد، وخطب عصيب، يشيب له الوليد، ﴿**يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ**﴾ [**الحج: ٢**]؛ وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿**فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن**

---

(١) أحمد: ٣/ ١٦٧، والبخاري (٤٧٦٠، ٦٥٢٣)، ومسلم (٢٨٠٦).

(٢) أحمد: ٢/ ١٧٩، والبخاري في الأدب (٥٧٥) وإسناده حسن، والترمذي (٢٤٩٢) وقال: حسن صحيح.

كَفَرۡتُمۡ يَوۡمٗا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا﴾ [المزمل: ١٧].

روى الشيخان عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا آدَمُ؛ يَقُولُ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ؛ فَيُنَادَى بِصَوْتٍ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ؛ قَالَ: يَا رَبِّ، وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ- أُرَاهُ- قَالَ: تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ؛ فَحِينَئِذٍ تَضَعُ الْحَامِلُ حَمْلَهَا، وَيَشِيبُ الْوَلِيدُ** ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ﴾، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ، حَتَّى تَغَيَّرَتْ وُجُوهُهُمْ! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « **مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، وَمِنْكُمْ وَاحِدٌ؛ ثُمَّ أَنْتُمْ فِي النَّاسِ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جَنْبِ الثَّوْرِ الْأَبْيَضِ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جَنْبِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ؛ وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ** »، فَكَبَّرْنَا؛ ثُمَّ قَالَ: « **ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ** »، فَكَبَّرْنَا؛ ثُمَّ قَالَ: « **شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ** »، فَكَبَّرْنَا(١).

اللهم إنا نسألك الجنة، وما قرَّب إليها من قول وعمل، ونعوذ بك من النار، وما قرَّب إليه من قول وعمل... آمين.

---

(١) البخاري (٣٣٤٨، ٤٧٤١)، ومسلم (٢٢٢).

❊ مقدار يوم القيامة ❊

روى أبو يعلى وابن حبان عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦]، قال: «مِقْدَارَ نِصفِ يَوْمٍ مِنْ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، فَيُهَوَّنُ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِ، كَتَدَلِّي الشَّمْسِ لِلْغُرُوبِ إِلَى أَنْ تَغْرُبَ»(١).

وروى الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: تَلَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **كَيْفَ بِكُمْ إِذَا جَمَعَكُمُ اللَّهُ كَمَا يُجْمَعُ النَّبْلُ فِي الْكِنَانَةِ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، ثُمَّ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْكُمْ** »(٢).

ولا تعارض بين الحديثين إذا الأول يتحدث عن مقدار قيام الناس لرب العالمين في ذلك اليوم قبل الفصل بينهم، والثاني يتحدث عن قدر ذلك اليوم في تقدير الله جل وعلا؛ والعلم عند الله تعالى.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ:

---

(١) أبو يعلى (٦٠٢٥)، وابن حبان (٧٣٣٣)، وإسناده صحيح.

(٢) الحاكم (٨٧٠٧) وقال: صحيح الإسناد.

يَوْمًا كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، مَا أَطْوَلَ هَذَا الْيَوْمَ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهُ لَيُخَفَّفُ عَلَى الْمُؤْمِنِ، حَتَّى يَكُونَ أَخَفَّ عَلَيْهِ مِنْ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ، يُصَلِّيهَا فِيَّ الدُّنْيَا** »؛ رواه أحمد وأبو يعلى وابن حبان(١).

* ما يُنجي من أهوال يوم القيامة *

مع أن هول المطلع شديد، فالعقول ذاهلة، والأبصار شاخصة، والشمس من الرؤوس دانية، والأمر أفظع من أن يوصف بأهوال الدنيا.. مع هذه الشدة، وذلك الهول، هناك أعمال خاصة تنجي أصحابها من ذلك الكرب، وتلك الشدة؛ ففي صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا**

---

(١) أحمد: ٣/ ٧٥، وأبو يعلى (١٣٩٠)، وابن حبان (٧٣٣٤)، وحسنه الهيثمي في (مجمع الزوائد: ١٠/ ٣٣٧)، والحافظ في (الفتح: ١١/ ٤٤٨).

وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ »[١].

وفيه- أيضًا- أَنَّ أَبَا قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ طَلَبَ غَرِيمًا لَهُ، فَتَوَارَى عَنْهُ، ثُمَّ وَجَدَهُ، فَقَالَ: إِنِّي مُعْسِرٌ! فَقَالَ: آللهِ؟ قَالَ: آللهِ، قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: « **مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ اللَّهُ مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَلْيُنَفِّسْ عَنْ مُعْسِرٍ أَوْ يَضَعْ عَنْهُ** »[٢].

وهناك من لهم أعمال يظلهم الله بسببها في ظله، يوم لا ظل إلا ظله؛ فروى الشيخان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « **سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ فِي خَلَاءٍ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسْجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ إِلَى نَفْسِهَا؛ قَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا، حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا صَنَعَتْ يَمِينُهُ** »[٣].

---

(١) مسلم (٢٦٩٩).

(٢) مسلم (١٥٦٣).

(٣) البخاري (٦٦٠، ١٤٢٣، ٦٨٠٦)، ومسلم (١٠٣١).

* الشفاعة *

الشفاعة لغة: الطلب والوسيلة، فشفع إليه في معنى: طلب إليه، وأصل الشفع ضم الشيء إلى مثله، والشفاعة الانضمام إلى آخر ناصرًا له وسائلا عنه؛ وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة إلى من هو أدنى؛ فسمي الشافع شافعًا؛ لأنه يضم طلبه ورجاءه إلى طلب المشفوع له؛ وعرفها البعض بأنها: طلب الخير للغير؛ وقيل: هي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم.

* الشفاعة في الدنيا وأقسامها *

الشفاعة هي طلب قضاء حاجة المشفوع فيه، وهي في الدنيا قسمان؛ **الأول: شفاعة حسنة،** مثل من يشفع عند ذي جاه أو منصب، لتُقضى حاجة لمشفوع له تعطل قضاؤها.

والثاني: شفاعة سيئة، مثل الشفاعة في حد من حدود الله تعالى، أو الشفاعة لمن يريد أن يأخذ ما ليس له بحق.

والشفاعة الحسنة يؤجر عليها صاحبها، كما أن الشفاعة السيئة يأثم بها صاحبها، قال الله تعالى: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً

حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا﴾ [النساء: ٨٥].

وروى الجماعة إلا ابن ماجه عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا جَاءَهُ السَّائِلُ، أَوْ طُلِبَتْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ، قَالَ: «**اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا، وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا شَاءَ**»(١).

ورواه أبو داود والنسائي عن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعا بلفظ: «**اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا**»(٢).

* الشفاعة يوم القيامة وأقسامها *

اعلم- رحمني الله وإياك- أن الشفاعة يوم القيامة قسمان: ثابتة، ومنفية.

الأول الشفاعة الثابتة: وهي التي أثبتها الله تعالى في كتابه في آيات ذوات عدد، كما في قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ

(١) رواه أحمد: ٤/ ٤٠٠، ٤٠٩، والبخاري (١٤٣٢، ٦٠٢٧، ٦٠٢٨، ٧٤٧٦)، ومسلم (٢٦٢٧)، وأبو داود (٥١٣١، ٥١٣٣)، والترمذي (٢٦٧٢)، والنسائي (٢٥٥٦).

(٢) أبو داود (٥١٣٢)، والنسائي (٢٥٥٧).

تُرۡجَعُونَ ﴾ [الزمر: ٤٤]، ولها شرطان:

الأول: الإذن، قال الله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٣].

والثاني: الرضا، وهو نوعان:

الأول: الرضا عن الشافع، ودليله قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٦].

والثاني: الرضا عن المشفوع فيه، ودليله قوله تعالى: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وقال عز وجل: ﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا﴾ [طه: ١٠٩]، قال القرطبي رحمه الله: أي: لا تنفع الشفاعة أحدًا إلا شفاعة من أذن له الرحمن، ورضي له قولا؛ أي: رضي قوله في الشفاعة، وقيل: المعنى: إنما تنفع الشفاعة لمن أذن له الرحمن في أن يشفع له[1].

---

(١) انظر تفسير القرطبي عند الآية (١٠٩) من سورة طه.

فيكون الإذن للشافع، والرضا عن الشافع والمشفوع فيه.

والقسم الثاني الشفاعة المنفية: وهي التي نفاها الله تعالى في كتابه، كما في قوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]، وقد كان المشركون يعتمدون على أصنامهم، ويعتقدون أنها ستشفع لهم عند الله، فآيسهم الله تعالى من الاعتماد على هذه الشفاعة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٤].

* أنواع الشفاعة الثابتة *

الشفاعة الثابتة يوم القيامة أنواع، منها ما يختص بالنبي ﷺ، ومنها ما لا يختص به، وإليك بيان ذلك:

النوع الأول: الشفاعة العظمى: وهي الشفاعة في فصل القضاء، لإراحة الخلق من شدة الموقف وأهواله، وهي خاصة برسولنا ﷺ، وهي المقام المحمود الذي ذكره الله تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن

يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾، روى البخاري عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ الشَّمْسَ تَدْنُو يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَبْلُغَ الْعَرَقُ نِصْفَ الْأُذُنِ، فَبَيْنَا هُمْ كَذَلِكَ اسْتَغَاثُوا بِآدَمَ، ثُمَّ بِمُوسَى، ثُمَّ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَيَشْفَعُ لِيُقْضَى بَيْنَ الْخَلْقِ، فَيَمْشِي حَتَّى يَأْخُذَ بِحَلْقَةِ الْبَابِ، فَيَوْمَئِذٍ يَبْعَثُهُ اللَّهُ مَقَامًا مَحْمُودًا يَحْمَدُهُ أَهْلُ الْجَمْعِ كُلُّهُمْ**»؛ وعنده- أيضًا- عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: **إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُثًا، كُلُّ أُمَّةٍ تَتْبَعُ نَبِيَّهَا، يَقُولُونَ: يَا فُلَانُ، اشْفَعْ؛ يَا فُلَانُ، اشْفَعْ؛ حَتَّى تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ؛ فَذَلِكَ يَوْمَ يَبْعَثُهُ اللَّهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ**؛ ورواه النسائي في الكبرى عن ابن عمر مرفوعًا(١). و« **جثًا** »: أي قعودًا على ركبهم.

وروى أحمد والترمذي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ قال: «**الشَّفَاعَةُ**»؛ وفي رواية لأحمد: « **هُوَ الْمَقَامُ الَّذِي أَشْفَعُ لِأُمَّتِي فِيهِ** »(٢).

---

(١) البخاري (١٤٧٥)، واللفظ الثاني رواه والبخاري (٤٧١٨) موقوفًا، ورواه النسائي في الكبرى (١١٢٩٥) مرفوعًا.

(٢) أحمد: ٢/ ٤٤١، ٤٤٤، والترمذي (٣١٣٧) وحسنه.

ففي ذلك اليوم العصيب، وفي ذلك المجمع المهيب، يوم يجمع الله تعالى الأولين والآخرين، لميقات يوم معلوم، حفاة عراة غرلًا، تدنو من رؤوسهم الشمس، ويبلغ بهم الكرب حدًّا لا يحتملونه، ويطول الانتظار، ولا يؤذن في فصل الحساب، ويشتد بهم الحال، فيتحادثون: من يشفع لنا عند ربنا؟ ألا ترون ما نحن فيه؟ ألا ترون ما قد بلغنا؟ فيذهبون إلى آدم، فيردهم إلى نوح، ويردهم نوح إلى إبراهيم، وإبراهيم إلى موسى، وموسى إلى عيسى- صلى الله عليهم وسلم أجمعين- كل واحد يقول: «**لَسْتُ هُنَاكُمْ**» أو: «**لَسْتُ لَهَا**»(١). ثم يردهم عيسى ﷺ إلى محمد ﷺ، قال رسول الله ﷺ: «**فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي؛ ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ، وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لأَحَدٍ قَبْلِي؛ ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ؛ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي، أُمَّتِي! فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لاَ حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ الأَيْمَنِ مِنْ**

(١) لفظ حديث أنس عند الشيخين: البخاري (٤٤٧٦)، ومسلم (١٩٣).

أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ؛ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى»، كما في حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الطويل الذي رواه أحمد والشيخان(١).

هذه هي الشفاعة العظمى، وهي المقام المحمود الذي وعده الله تعالى، فقوله: « **يَا مُحَمَّدُ، أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لاَ حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ** »؛ يشير إلى بدء الفصل بين العباد، فمن لا حساب عليه يدخل الجنة، ومن كان عليه حساب سيفصل في أمره، والله تعالى أعلم.

قال القاضي عياض رَحِمَهُٱللَّهُ في قول الأنبياء: « **لَسْتُ هُنَاكُمْ** » أو: « **لَسْتُ لَهَا** »: هذا يقولونه تواضعًا وإكبارًا لما يُسئلونه.. قال: وقد تكون إشارة من كل واحد منهم إلى أن هذه الشفاعة وهذا المقام ليس له، بل لغيره، وكل واحد منهم يدل على

---

(١) أحمد: ٢/ ٤٣٥، ٤٣٦، والبخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤)، وانظر شرح النووي على مسلم: ٣/ ٦٩.

الآخر، حتى انتهى الأمر إلى صاحبه... قال: ويحتمل أنهم علموا أن صاحبها محمد ﷺ معينًا، وتكون إحالة كل واحد منهم على الآخر على تدريج الشفاعة في ذلك إلى نبينا محمد ﷺ... قال: وأما مبادرة النبي ﷺ لذلك، وإجابته لدعوتهم، فلتحققه ﷺ أن هذه الكرامة والمقام له ﷺ خاصة. اهـ[١].

وقال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: والحكمة في أن الله تعالى ألهمهم سؤال آدم ومَنْ بعده- صلوات الله وسلامه عليهم- في الابتداء، ولم يلهموا سؤال نبينا محمد ﷺ هي- والله أعلم- إظهار فضيلة نبينا محمد ﷺ؛ فإنهم لو سألوه ابتداء لكان يحتمل أن غيره يقدر على هذا ويحصله، وأما إذا سألوا غيره من رسل الله تعالى وأصفيائه، فامتنعوا، ثم سألوه فأجاب، وحصل غرضهم، فهو النهاية في ارتفاع المنزلة، وكمال القرب، وعظيم الإدلال والأنس، وفيه تفضيله ﷺ على جميع المخلوقين من الرسل والآدميين والملائكة، فإن هذا الأمر العظيم، وهي الشفاعة العظمى، لا يقدر على الإقدام عليه

---

(١) انظر شرح مسلم للنووي: ٣/ ٥٦.

غيره صلى الله عليه وعليهم أجمعين. والله أعلم. اهـ[١].

النوع الثاني: الشفاعة في دخول أهل الجنة الجنة؛ وهي خاصة بالنبي ﷺ أيضًا، فقد روى مسلم عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ وحُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالاَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **يَجْمَعُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى النَّاسَ، فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى تُزْلَفَ لَهُمُ الْجَنَّةُ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا أَبَانَا اسْتَفْتِحْ لَنَا الْجَنَّةَ؛ فَيَقُولُ: وَهَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلاَّ خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ آدَمَ؟ لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، اذْهَبُوا إِلَى ابْنِي إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ؛ فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلًا مِنْ وَرَاءَ وَرَاء، اعْمِدُوا إِلَى مُوسَى الَّذِي كَلَّمَهُ اللَّهُ تَكْلِيمًا؛ فَيَأْتُونَ مُوسَى؛ فَيَقُولُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى، كَلِمَةِ اللَّهِ وَرُوحِهِ؛ فَيَقُولُ عِيسَى: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ؛ فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا ﷺ، فَيَقُومُ، فَيُؤْذَنُ لَهُ، وَتُرْسَلُ الأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ، فَتَقُومَانِ جَنَبَتَيِ الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا؛ فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ** »، قَالَ: قُلْتُ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، أَيُّ شَيْءٍ كَمَرِّ الْبَرْقِ؟ قَالَ: « **أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ**

(١) انظر شرح مسلم للنووي: ٣/ ٥٦.

يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ، وَشَدِّ الرِّجَالِ تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ؛ وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ، سَلِّمْ؛ حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلاَ يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلاَّ زَحْفًا؛ وَفِي حَافَتَيِ الصِّرَاطِ كَلاَلِيبُ مُعَلَّقَةٌ، مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أُمِرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمَكْدُوسٌ فِي النَّارِ »؛ وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ، إِنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعُونَ خَرِيفًا(١).

وروى أحمد ومسلم عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ؛ فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ مُحَمَّدٌ؛ فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لاَ أَفْتَحُ لأَحَدٍ قَبْلَكَ** »(٢). وعند مسلم عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **أَنَا أَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ** »(٣).

النوع الثالث: الشفاعة في قوم يدخلون الجنة بغير

(١) مسلم (١٩٥).

(٢) أحمد: ٣/ ١٤٤، ومسلم (١٩٧).

(٣) مسلم (١٩٦).

حساب، وتقدم في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: « **فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لاَ حِسَابَ عَلَيْهِ، مِنَ الْبَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ..** » الحديث(١). وهذه- أيضًا- خاصة بنبينا محمد ﷺ.

النوع الرابع: الشفاعة في قوم استوجبوا النار ألا يدخلوها، وهذه ليست خاصة بالنبي محمد ﷺ، فيشفع فيها هو، ومن يأذن الله تعالى له من أهل الشفاعات.

وممن يشفع فيها الولدان لآبائهم، ففي مسند أحمد عن شُرَحْبِيلُ ابْنُ شُفْعَةَ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: « **يُقَالُ لِلْوِلْدَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ؛ فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ، حَتَّى يَدْخُلَ آبَاؤُنَا وَأُمَّهَاتُنَا؛ فَيَأْتُونَ؛ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَا لِي أَرَاهُمْ مُحْبَنْطِئِينَ، ادْخُلُوا الْجَنَّةَ؛ فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ آبَاؤُنَا وَأُمَّهَاتُنَا؛ فَيَقُولُ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ** » رواه أحمد(٢).

---

(١) البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤).

(٢) أحمد: ٤/ ١٠٥، وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد: ١٠/ ٣٨٣): ورجاله رجال الصحيح، غير شرحبيل وهو ثقة؛ وقال في لسان =

وعن حَبِيبَةُ أَنَّهَا كَانَتْ عِنْدَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهَا، فَقَالَ: « **مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَمُوتُ لَهُمَا ثَلاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ، لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ، إِلا جِيءَ بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُوقَفُوا عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ، فَيَقُولُونَ: حَتَّى يَدْخُلَ آبَاؤُنَا، فَيُقَالُ لَهُمِ: ادْخُلُوا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْجَنَّةَ** »؛ رواه الطبراني(١).

وروى النسائي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « **مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَمُوتُ بَيْنَهُمَا ثَلاثَةُ أَوْلادٍ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ، إِلا أَدْخَلَهُمَا اللَّهُ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمُ الْجَنَّةَ** » قَالَ: « **يُقَالُ لَهُمْ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ، فَيَقُولُونَ: حَتَّى يَدْخُلَ آبَاؤُنَا، فَيُقَالُ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ** »(٢).

وقد يشفع في هذه الدرجة من الشفاعة الشهيد، لما روى

=×العرب: ٧/ ٢٧١: قال أَبو زيد: المُحْبَنْطِىء، مهموز وغير مهموز: الممْتَلىء غَضَبًا.

(١) الطبراني في الكبير: ٢٤/ ٢٢٥ (٥٧١)، وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب: ٣/ ٥٦.

(٢) النسائي (١٨٧٦)، وصححه الألباني.

عبد الرزاق وأحمد والترمذي وصححه وابن ماجه عن المقدام بن معد يكرب قال: قال رسول الله ﷺ: « **للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفعة، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقاربه**»(١). فذكر الشفاعة هنا عامًّا، فقد يدخل فيه هذا النوع، والعلم عند الله تعالى.

النوع الخامس: الشفاعة فيمن دخل النار من مذنبي الموحدين؛ فقد صحت الأحاديث في ثبوت الشفاعة في إخراجهم من النار، ويشفع فيهم النبي ﷺ والملائكة، كما يشفع فيهم إخوانهم من المؤمنين؛ ففي حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الشفاعة الذي رواه الشيخان أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «... **فَيَأْتُونِي، فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي، وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ**

---

(١) عبد الرزاق (٩٥٥٩)، وأحمد: ٤/ ١٣١، والترمذي (١٦٦٣) وصححه، وابن ماجه (٢٧٩٩). وله شاهد عن عبادة عند البزار (٢٦٩٦)، وآخر عن عقبة بن عامر عند الطبراني في الشاميين (١١٦٣).

أَحْمَدُهُ بِهَا، لَا تَحْضُرُنِي الْآنَ؛ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ؛ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي، أُمَّتِي؛ فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ؛ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا؛ فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ؛ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي، أُمَّتِي؛ فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ أَوْ خَرْدَلَةٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَخْرِجْهُ؛ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا؛ فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ؛ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي، أُمَّتِي؛ فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَخْرِجْهُ مِنْ النَّارِ؛ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ »، فَلَمَّا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ أَنَسٍ، قُلْتُ لِبَعْضِ أَصْحَابِنَا: لَوْ مَرَرْنَا بِالْحَسَنِ، وَهُوَ مُتَوَارٍ فِي مَنْزِلِ أَبِي خَلِيفَةَ، فَحَدَّثْنَاهُ بِمَا حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ؛ فَأَتَيْنَاهُ، فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ، فَأَذِنَ لَنَا؛ فَقُلْنَا لَهُ: يَا أَبَا سَعِيدٍ، جِئْنَاكَ مِنْ عِنْدِ أَخِيكَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، فَلَمْ نَرَ مِثْلَ

مَا حَدَّثَنَا فِي الشَّفَاعَةِ؛ فَقَالَ: هِيهْ، فَحَدَّثْنَاهُ بِالْحَدِيثِ، فَانْتَهَى إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ؛ فَقَالَ: هِيهْ، فَقُلْنَا: لَمْ يَزِدْ لَنَا عَلَى هَذَا؛ فَقَالَ: لَقَدْ حَدَّثَنِي وَهُوَ جَمِيعٌ مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً، فَلَا أَدْرِي أَنَسِيَ، أَمْ كَرِهَ أَنْ تَتَّكِلُوا؟ قُلْنَا: يَا أَبَا سَعِيدٍ، فَحَدِّثْنَا؛ فَضَحِكَ، وَقَالَ: خُلِقَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا، مَا ذَكَرْتُهُ إِلَّا وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُحَدِّثَكُمْ؛ حَدَّثَنِي كَمَا حَدَّثَكُمْ بِهِ، قَالَ: « **ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ؛ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَيَقُولُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي، لَأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ** » لفظ البخاري[١].

وروى البخاري عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: « **إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ شُفِّعْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ، أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ خَرْدَلَةٌ، فَيَدْخُلُونَ؛ ثُمَّ أَقُولُ: أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى شَيْءٍ** »، فَقَالَ أَنَسٌ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى

---

(١) البخاري (٤٤٧٦)، ومسلم (١٩٣).

أَصَابِعِ رَسُولِ اللهِ ﷺ(١).

وروى أحمد وأبو داود والترمذي وصححه، وابن حبان والحاكم؛ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: « **شَفَاعَتِي لأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي** »؛ ورواه الترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن جابر(٢).

وروى أبو يعلى، والطبراني، وابن أبي عاصم في السنة بإسناد حسن عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: كُنَّا نُمْسِكُ عَنِ الاسْتِغْفَارِ لأَهْلِ الْكَبَائِرِ، حَتَّى سَمِعْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [النساء: ٤٨]، قال: «**إِنِّي ادَّخَرْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي**»؛ قال: فَأَمْسَكْنَا عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا كَانَ فِي أَنْفُسِنَا، ثُمَّ نَطَقْنَا

---

(١) البخاري (٧٥٠٩).

(٢) أحمد: ٣/ ٢١٣، وأبو داود (٤٧٣٩)، والترمذي (٢٤٣٥)، وابن حبان (٦٤٦٨)، والحاكم (٢٢٨) وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي؛ وحديث جابر رواه الترمذي (٢٤٣٦) وحسنه، وابن ماجه (٤٣١٠)، وابن حبان (٦٤٦٧)، والحاكم (٢٣١)، وصححه على شرط مسلم.

بَعْدُ، وَرَجَوْنَا(١).

وروى أحمد والبخاري وأبو داود وابن ماجه عن عِمْرَانَ ابْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، يُسَمَّوْنَ الْجَهَنَّمِيِّينَ**»(٢).

ورواه أحمد والطيالسي وابن أبي عاصم في السنة بإسناد حسن عَنْ حُذَيْفَةَ عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يُخْرِجُ اللَّهُ قَوْمًا مُنْتِنِينَ، قَدْ مَحَشَتْهُمْ النَّارُ، بِشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ، فَيُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ، فَيُسَمَّوْنَ الْجَهَنَّمِيِّينَ**»(٣).

وروى أحمد ومسلم والدارمي عَنْ أَبِى سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا فَإِنَّهُمْ لاَ يَمُوتُونَ فِيهَا وَلاَ يَحْيَوْنَ وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ،**

---

(١) أبو يعلى (٥٨١٣)، والطبراني في الأوسط (٥٩٤٢)، وابن أبي عاصم في السنة (٨٣٠)؛ وصححه السيوطي في (الدر المنثور): ٢/ ٥٥٧، وحسنه الألباني في (ظلال الجنة).

(٢) أحمد: ٤/ ٤٣٤، والبخاري (٦٥٦٦)، أبو داود (٤٧٤٠)، والترمذي (٢٦٠٠)، وابن ماجه (٤٣١٥).

(٣) أحمد: ٥/ ٤٠٢، والطيالسي (٤١٩)، وابن أبي عاصم في السنة (٨٣٥)، وحسنه الألباني في (ظلال الجنة).

أَوْ بِخَطَايَاهُمْ؛ فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً، حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا، أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ؛ فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ؛ فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ »؛ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: كَأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ كَانَ بِالْبَادِيَةِ(١).

وروى أحمد والترمذي وصححه، وابن ماجه، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي الْجَدْعَاءِ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: « **لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَكْثَرُ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ** »، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، سِوَاكَ؟ قَالَ: « **سِوَايَ، سِوَايَ** »(٢).

وروى أحمد والطبراني بإسناد حسن في الشواهد عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: « **لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ لَيْسَ بِنَبِيٍّ، مِثْلُ الْحَيَّيْنِ، أَوْ مِثْلُ أَحَدِ الْحَيَّيْنِ: رَبِيعَةَ، وَمُضَرَ** »، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا رَبِيعَةُ مِنْ

---

(١) أحمد: ٣/ ١١، ٢٥، ٧٩، ومسلم (١٨٥)، والدارمي (٢٨١٣).

(٢) أحمد: ٣/ ٤٧٠، والترمذي (٢٤٣٨)، وابن ماجه (٤٣١٦)، وابن حبان (٧٣٧٦)، والحاكم (٢٣٦، ٢٣٧).

مُضَرَ؟ فَقَالَ: « **إِنَّمَا أَقُولُ مَا أُقَوَّلُ** »[١]. وروى أحمد عن أَبِي بَرْزَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: « **إِنَّ مِنْ أُمَّتِي لَمَنْ يَشْفَعُ لِأَكْثَرَ مِنْ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ؛ وَإِنَّ مِنْ أُمَّتِي لَمَنْ يَعْظُمُ لِلنَّارِ، حَتَّى يَكُونَ رُكْنًا مِنْ أَرْكَانِهَا** » وإسناده جيد[٢].

وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يفتقد أهل الجنة ناسًا كانوا يعرفونهم في الدنيا، فيأتون الأنبياء فيذكرونهم، فيشفعون فيهم فيشفعون، يقال لهم الطلقاء، وكلهم طلقاء، يصب عليهم ماء الحياة**» رواه الطبراني في الأوسط[٣].

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَشْفَعُ لِلرَّجُلِينِ وَالثَّلَاثَةِ**» رواه البزار، وقال المنذري

---

(١) أحمد: ٥/ ٢٥٧، ٢٦١، ٢٦٧، وإسناده صحيح. ورواه الطبراني في الكبير: ٨/ ١٤٣ (٦٧٣٨)، والشاميين (١٠٧٩).

(٢) أحمد: ٤/ ٢١٢، قال الهيثمي في (مجمع الزوائد: ١٠/ ٣٨١): ورجاله ثقات.

(٣) الطبراني في الأوسط (٣٠٤٤)، وقال الهيثمي في (المجمع: ١٠/ ٣٧٩): إسناده حسن.

والهيثمي: ورجاله رجال الصحيح(١).

النوع السادس: الشفاعة في زيادة الدرجات في الجنة؛ وهي ليست خاصة بالنبي ﷺ إجماعًا؛ لكنه أول من يشفع فيها، فقد روى مسلم وأبو يعلى عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ، وَأَنَا أَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ تَبَعًا** »؛ وفي رواية: « **أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الْجَنَّةِ؛ لَمْ يُصَدَّقْ نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ مَا صُدِّقْتُ، وَإِنَّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيًّا مَا يُصَدِّقُهُ مِنْ أُمَّتِهِ إِلاَّ رَجُلٌ وَاحِدٌ** »(٢).

النوع السابع: الشفاعة في تخفيف العذاب عمن يستحقه من أهل النار، وهي خاصة بالنبي ﷺ، وفي عمه أبي طالب خاصة؛ ففي الصحيحين وغيرهما عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ، وَذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ؛ فَقَالَ: « **لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ النَّارِ،**

---

(١) قال المنذري في الترغيب: ٤/ ٢٤١، والهيثمي في مجمع الزوائد: ١٠/ ٣٨٢: رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح.

(٢) مسلم (١٩٦)، وأبو يعلى (٣٩٦٧).

يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ، يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ »(١).

وفيهما عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَفَعْتَ أَبَا طَالِبٍ بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ، وَيَغْضَبُ لَكَ! قَالَ: « **نَعَمْ، هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْلاَ أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ** »؛ وفي رواية لمسلم: « **نَعَمْ، وَجَدْتُهُ فِي غَمَرَاتٍ مِنَ النَّارِ، فَأَخْرَجْتُهُ إِلَى ضَحْضَاحٍ** »(٢).

والضحضاح: ما رق من الماء على وجه الأرض، ويبلغ نحو الكعبين، واستعير في النار؛ والغمرات: واحدتها غمرة، بإسكان الميم، وهي: المعظم من الشيء.

هذا وقد أجمع السلف ومن بعدهم من أهل السنة على ثبوت الشفاعة المستوفية لشروطها، وأنها جائزة عقلا، واجبة سمعًا، لتواتر الأحاديث فيها.

❋ ❋ ❋

(١) البخاري (٣٨٨٥)، ومسلم (٢١٠).
(٢) البخاري (٣٨٨٣)، ومسلم (٢٠٩).

* أعمال توجب شفاعة النبي ﷺ *

في الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: « **لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ فَأُرِيدُ- إِنْ شَاءَ اللَّهُ- أَنْ أَخْتَبِئَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ** »(١).

في هذا الحديث بيان شفقة النبي ﷺ على أمته، ورأفته بهم، واعتنائه بالنظر في مصالحهم المهمة، وحرصه عليهم، فأخر دعوته لأمته إلى أهم أوقات حاجتهم؛ ومن شدة حرصه عليهم ﷺ دلهم على عملٍ مَنْ عمله وجبت له شفاعته، فروى الجماعة إلا البخاري وابن ماجه عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: « **إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لا تَنْبَغِي إِلا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ** »(٢).

---

(١) البخاري (٦٣٠٤، ٧٤٧٤)، ومسلم (١٩٨).

(٢) أحمد: ٢/١٦٨، ومسلم (٣٨٤)، وأبو داود (٥٢٣)، والترمذي (٣٦١٤)، والنسائي (٦٧٨).

وروى الجماعة إلا مسلمًا عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: « **مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلاةِ الْقَائِمَةِ، آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ؛ حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ** »(١).

وروى أحمد والبخاري والنسائي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ** »(٢).

اللهم اجعلنا من أسعد الناس بشفاعة نبينا ﷺ. آمين.

***

(١) أحمد: ٣/ ٣٥٤، البخاري (٦١٤، ٤٧١٩)، وأبو داود (٥٢٩)، والترمذي (٢١١)، والنسائي (٦٨٠)، وابن ماجه (٧٢٢).

(٢) أحمد: ٢/ ٣٧٣، والبخاري (٩٩، ٦٥٧٠)، والنسائي في الكبرى (٥٨٤٢).

* صحائف الأعمال *

بعد الشفاعة العظمى، تنشر الكتب، وتوضع الموازين، ويحاسب الناس.

والناس يومئذ صنفان:

الأول: آخذ كتابه بيمينه، مستبشرًا، يقول: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ **[الحاقة: ١٩، ٢٠]**.

والثاني: آخذ كتابه بشماله، يدعو بالويل والثبور، ويقول: ﴿يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ﴾ **[الحاقة: ٢٥- ٢٩]**.

ونشر الكتب يعني: بسطها، وفتحها بعد أخذها، قال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ **[التكوير: ١٠]**، وقال ﷯: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ **[الإسراء: ١٣، ١٤]**.

قال الزجاج: ذكر العنق عبارة عن اللزوم، كلزوم القلادة للعنق(١).

---

(١) نقلا عن (تفسير القرطبي): ١٠/ ٢٢٩.

* كيفية إيتاء الكتاب يوم القيامة *

قد بيَّن لنا الكتاب والسنة مشاهد الحساب، ووقائع الثواب والعقاب؛ ليقف كل عاقل مع نفسه، ويتدبر أمره، ويُعدَّ عدته ليوم الحساب.

وفي كيفية إيتاء الكتاب- حسب أعمال العبد- يوم القيامة قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ۝٩ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ۝١٠ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ۝١١ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ۝١٣ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝١٤ بَلَىٰٓۚ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرٗا ۝١٥﴾ **[الانشقاق: ٦-١٥]**؛ والكدح هو الجد والاجتهاد وجهد النفس في العمل، قال الشاعر:

ومضت بشاشة كل عيش صالح   وبقيت أكدح في الحياة وأنصب

ومعنى الآية: إنك يا ابن آدم مجد بأعمالك جدًّا، ثم نهايتك إلى ربك فتلاقيه، فيكافئك بأعمالك: إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر.

ثم بين الله تعالى حال الناس في تلقي كتبهم، فمنهم من يؤتى كتابه بيمينه، فهذا هو الناجي السعيد، ويكون حسابه يسيرًا، عرضًا فقط، لا نقاش فيه، ثم يعود بعد ذلك إلى أهله في الجنة مسرورًا مغتبطًا.

روى الجماعة إلا ابن ماجه عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **مَنْ حُوسِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُذِّبَ** »؛ فَقُلْتُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾، فَقَالَ: «**لَيْسَ ذَاكِ الْحِسَابُ، إِنَّمَا ذَاكِ الْعَرْضُ؛ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُذِّبَ** »؛ ورواه الطبراني بنحوه عن عبد الله ابن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بإسناد صحيح، ورواه الترمذي عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا بلفظ: « **مَنْ حُوسِبَ عُذِّبَ** »(١).

وأما الذي يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره، فتثنى يده إلى ورائه، ويعطى كتابه بها كذلك؛ فهذا هو الشقي، الذي يدعو بالخسارة والهلاك والويل والثبور؛ هذا الذي كان في الدنيا

(١) حديث ابن الزبير رواه الطبراني في الأوسط (٦٦٧٦)، وحديث أنس رواه الترمذي (٣٣٣٨)، وإسناده حسن.

فرحًا، لا يفكر في العواقب، ولا يخاف مما أمامه، فأعقبه ذلك الفرح اليسير الحزن الطويل، والغم والشقاء والعويل، ذلك لأنه كان يعتقد أن ليس بعد الموت بعث ورجوع إلى الله تعالى؛ قال الله تعالى: ﴿بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾ أي: سيعيده، ويجازيه على أعماله، فهو خالقه وهو به بصير عليم خبير.

فهذا موضع من مواضع قرآنية كثيرة تعرضت لهذه القضية؛ وما أحسن ما قال الشاعر:

مثِّل وقوفك يوم العرض عُريانًا مستوحشًا قلق الأحشاء حيرانا

والنار تلهب من غيظ ومن حنق على العصاة ورب العرش غضبانا

اقرأ كتابك يا عبدي على مهل فهل ترى فيه حرفًا غير ما كانا

لـمَّا قرأت ولم تنكر قراءته إقرار من عرف الأشياء عرفانا

نادى الجليل خذوه يا ملائكتي امضوا بعبد عصى للنار عطشانا

المشركون غدًا في النار يلتهبوا والمؤمنون بدار الخلد سكانا

وروى أحمد وابن ماجه عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يُعْرَضُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَ**

عَرَضَاتٍ؛ فَأَمَّا عَرْضَتَانِ فَجِدَالٌ وَمَعَاذِيرُ، وَأَمَّا الثَّالِثَةُ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَطِيرُ الصُّحُفُ فِي الْأَيْدِي، فَآخِذٌ بِيَمِينِهِ، وَآخِذٌ بِشِمَالِهِ»؛ ورواه الترمذي عن أبي هريرة(١).

* الحســاب *

أما الحساب فهو: توقيف الله تعالى عباده على أعمالهم- قبل الانصراف من المحشر- خيرًا كانت أو شرًّا.

فهناك يوقف الجميع ليسألهم الملك ﷻ عن أعمالهم، وينبئهم بها؛ قال الله تعالى: ﴿ **وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ** ﴾ **[الصافات:**

(١) أحمد: ٤/ ٤١٤، وابن ماجه (٤٢٧٧)؛ وحديث أبي هريرة رواه الترمذي (٢٤٢٥)؛ وقال: ولا يصح هذا الحديث من قِبَل أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة؛ وقد رواه بعضهم عن علي الرفاعي عن الحسن عن أبي موسى عن النبي ﷺ... ولا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي موسى. اهـ. قال الحافظ في (الفتح: ١١/ ٤٠٣) بعد أن ذكر قول الترمذي: و هو عند ابن ماجه وأحمد من هذا الوجه مرفوعًا؛ وأخرجه البيهقى فى (البعث) بسند حسن عن عبدالله بن مسعود موقوفًا. اهـ . قلت: هذا شاهد قوي، يقوى به الحديث؛ فموقوف الصحابي فيما لا مجال للرأي فيه يأخذ حكم المرفوع.. والعلم عند الله تعالى.

٢٤]، وقال ﷻ: ﴿يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة: ٦]، وقال ﷻ: ﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾ [الكهف: ٤٩].

وفي دقة الحساب والميزان يقول الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]؛ أي: توضع الموازين العدل وتقام، ليوزن بها أعمال العباد، ولا ينقص من إحسان محسن، ولا يزاد في إساءة مسيء، وإن كان العمل مما يستحقره الناس؛ فإنه يُجاء به ليوزن لصاحبه، ولو كان زنة حبة الخردل، وهي المتناهية في الصغر، والتي تستعمل في مقارنة المكاييل بالموازيين الدقيقة، إذ الكيلو جرام منها يبلغ (٩١٢ ألف حبة)؛ فأي دقة هذه؟ وأي عدل هذا؟ اللهم إنه العدل المطلق، الذي لا يغيب عنه شيء وإن دق: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ

مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَجُلًا قَعَدَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ لِي مَمْلُوكِينَ، يكْذبُونَنِي، وَيَخُونُونَنِي، وَيَعْصُونَنِي، وَأَشْتُمُهُمْ وَأَضْرِبُهُمْ، فَكَيْفَ أَنَا مِنْهُمْ؟ قَالَ: «**يُحْسَبُ مَا خَانُوكَ وَعَصَوْكَ وَكَذبُوكَ وَعِقَابُكَ إِيَّاهُمْ؛ فَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ بِقَدْرِ ذُنُوبِهِمْ، كَانَ كَفَافًا؛ لا لَكَ، وَلا عَلَيْكَ؛ وَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ دُونَ ذُنُوبِهِمْ، كَانَ فَضْلًا لَكَ؛ وَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ فَوْقَ ذُنُوبِهِمُ، اقْتُصَّ لَهُمْ مِنْكَ الْفَضْلُ** »؛ فَتَنَحَّى الرَّجُلُ، فَجَعَلَ يَبْكِي وَيَهْتِفُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَا تَقْرَأُ كِتَابَ اللَّهِ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾** »؛ فَقَالَ الرَّجُلُ: وَاللهِ، يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَجِدُ لِي وَلِهَؤُلاءِ شَيْئًا خَيْرًا مِنْ مُفَارَقَتِهِمْ، أُشْهِدُكُمْ أَنَّهُمْ أَحْرَارٌ كُلُّهُمْ(١).

إن الحساب في الآخرة هو مقتضى العدل المطلق، فالله

(١) أحمد: ٦/ ٢٨٠، والترمذي (٣١٦٥)، والبيهقي في الشعب (٨٥٨٦)، وإسناده صحيح.

تعالى متصف بصفات الكمال والجلال والجمال، ومنها العدل والحكمة، فهو سبحانه عدل، لا يظلم أحدًا من خلقه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [النساء: ٤٠].

* كيفية حساب المؤمن والكافر *

إن الله ﷻ عدل حكيم يضع كل شيء في موضعه، ومقتضى العدل والحكمة ألا يسوى بين البر والفاجر، ولا بين المؤمن والكافر، ولا بين المحسن والمسيء، فإن التسوية بينهما منتهى الظلم والسفه، قال ﷻ: ﴿أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ٣٥ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٥، ٣٦]، وقال تعالى: ﴿أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨]، وقال ﷻ: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١].

فمقتضى العدل الإلهي ألا يُسوَّى بين الفريقين، فلقد

قضى كل من الفريقين حياته: هذا يجاهد نفسه وهواه وشيطانه لإرضاء الله تعالى، ويجاهد في سبيل الله ليعلي كلمته، ويرفع رايته، ويطهر الأرض من الفساد والشر والسوء.

وعلى النقيض الفريق الثاني: يجاهد من أجل شهواته وغرائزه الدنيا، سائرًا في ركب إبليس، تابعًا لنفسه الأمارة بالسوء، يركب المعاصي، ويسخر من الأبرار، ويستهزئ بالقيم؛ فهل من العدل والحكمة أن يكون مصير هؤلاء جميعًا واحدًا؟!!

اللهم لا؛ بل الله تعالى أعدل العادلين وأحكم الحاكمين، سبحانه وتعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا.

إنه لابد من يوم تتكشف فيه الحقائق، وتظهر فيه السرائر، ويُقضى بين الناس بالقسط وهم لا يظلمون؛ روى أحمد والشيخان عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِابْنِ عُمَرَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ فِي النَّجْوَى؟ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: « **يُدْنَى الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُ؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَعْرِفُ، قَالَ: فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَإِنِّي**

أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى صَحِيفَةَ حَسَنَاتِهِ؛ وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيُنَادَى بِهِمْ عَلَى رُءُوسِ الْخَلائِقِ: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨] »[1].

فهذا بالنسبة للمؤمن هو العرض الذي سبق في حديث عائشة وأنس وابن الزبير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، واللهم إنا نسألك سترك الجميل في الدنيا والآخرة.

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **إِنِّي لأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا؛ رَجُلٌ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ: اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ، وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا، فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ، فَيُقَالُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ؛ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ، وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ، فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً، فَيَقُولُ: رَبِّ قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لا أَرَاهَا هَا هُنَا** »؛ فَلَقَدْ

---

(١) أحمد: ٢/ ٧٤، ١٠٥، والبخاري (٢٤٤١، ٤٦٨٥، ٧٥١٤)، ومسلم (٢٧٦٨).

رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ(١).

* ما يسأل عنه العبد يوم القيامة *

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقال سبحانه: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾، وقال عز وجل: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨].

وروى الترمذي وابن حبان والحاكم عن أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **إِنَّ أَوَّلَ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**- يَعْنِي الْعَبْدَ- **مِنَ النَّعِيمِ، أَنْ يُقَالَ لَهُ: أَلَمْ نُصِحَّ لَكَ جِسْمَكَ، وَنُرْوِيَكَ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ؟** »(٢).

وعند مسلم وغيره عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ ، فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ،

(١) أحمد: ٥/ ١٥٧، ومسلم (١٩٠)، والترمذي (٢٥٩٦).

(٢) الترمذي (٣٣٥٨)، وابن حبان (٧٣٦٤)، والحاكم: ٤/ ١٣٨، وصححه، ووافقه الذهبي.

فَقَالَ: «**مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟**»؛ قَالا: الْجُوعُ، يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ:« **وَأَنَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا، قُومُوا**»، فَقَامُوا مَعَهُ، فَأَتَى رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ قَالَتْ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **أَيْنَ فُلانٌ؟** »، قَالَتْ: ذَهَبَ يَسْتَعْذِبُ لَنَا مِنَ الْمَاءِ، إِذْ جَاءَ الْأَنْصَارِيُّ، فَنَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَصَاحِبَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، مَا أَحَدٌ الْيَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي؛ قَالَ: فَانْطَلَقَ فَجَاءَهُمْ بِعِذْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرُطَبٌ، فَقَالَ: كُلُوا مِنْ هَذِهِ، وَأَخَذَ الْمُدْيَةَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **إِيَّاكَ وَالْحَلُوبَ** »، فَذَبَحَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ، وَمِنْ ذَلِكَ الْعِذْقِ، وَشَرِبُوا، فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا؛ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: « **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الْجُوعُ، ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ** »(١).

وروى الترمذي وصححه والدارمي عن أبي بَرْزَة الأسلمي

---

(١) مسلم (٢٠٣٨).

قال: قال رسول الله ﷺ: « **لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ** [به]، **وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلاهُ** »؛ ورواه البزار والطبراني في الكبير عن معاذ مرفوعًا، بإسناد صحيح، ورواه الترمذي والطبراني في الأوسط عن ابن مسعود بإسناد حسن في المتابعات، وفيه: « **وعن شبابه فيما أبلاه** »، بدلا عن جسمه(١).

وهذه الأمور تعم حياة الإنسان كلها، وما يتعلق بها من علم وعمل ومال، فأين المفر؟

لا مفر من الله إلا إليه.

* أول ما يُحاسب عليه العبد يوم القيامة *

روى أحمد وأهل السنن عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: « **إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ**

---

(١) الترمذي (٢٤١٧)، والدارمي (٥٣٧) عن أبي برزة؛ ورواه البزار (٢٦٤٠)، والطبراني في الكبير: ٢٠/ ٦٠ (١١١) عن معاذ؛ ورواه الترمذي (٢٤١٦)، و البزار (١٤٣٥)، والطبراني في الأوسط (٧٥٧٦)، والخطيب البغدادي في تاريخه: ١٢/ ٤٤٠ عن ابن مسعود.

الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلاتُهُ، فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ، فَإِنِ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ، قَالَ الرَّبُّ ﷻ: انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ؛ فَيُكَمَّلَ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنَ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ »(١). ذلك لأن الصلاة عَلَم الإيمان، وأم العبادات، وعماد الدين؛ وفي الحديث دلالة على فضل التطوع بنوافل العبادات، فإن من فضلها أنها تجبر النقص الذي يكون بالفرائض.

* أول ما يقضى بين الناس *

في الصحيحين عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ** » وفي رواية لهما: « **أَوَّلُ مَا يُحْكَمُ بَيْنَ النَّاسِ** »(٢).

لأن الدماء أكبر الكبائر بعد الشرك؛ قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذا لعظم أمرها، وكثير خطرها؛ وليس هذا الحديث مخالفًا للحديث المشهور في السنن: « **أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ**

(١) أحمد: ٢/ ٤٢٥، وأبو داود (٨٦٤)، والترمذي (٤١٣)، والنسائي (٤٦٥)، وابن ماجه (١٤٢٥، ١٤٢٦).

(٢) البخاري (٦٥٣٣، ٦٨٦٤)، ومسلم (١٦٧٨).

صَلاتُهُ »؛ لأن هذا الحديث الثاني فيما بين العبد وبين الله تعالى، وأما حديث الباب فهو فيما بين العباد؛ والله أعلم بالصواب(١).

* المفلس يوم القيامة *

روى مسلم والترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: « **أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟** » قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لا دِرْهَمَ لَهُ وَلا مَتَاعَ! فَقَالَ: «**إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ**»(٢).

إذا تقرر هذا فيجب أن يبادر المرء إلى محاسبة نفسه، من قبل أن لا يكون درهم ولا دينار، ففي صحيح البخاري من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: « **مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلِمَةٌ لِأَخِيهِ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلا**

---

(١) انظر (شرح النووي على مسلم): ١١/ ١٦٧.

(٢) مسلم (٢٥٨١) والترمذي (٢٤١٨).

دِرْهَمٌ؛ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ لِأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ، أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ»[١].

فالعاقل من يحاسب نفسه قبل أن يُحاسب يوم القيامة، وكان عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: زنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وحَاسِبُوها قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا، فإنه أهون عليكم في الحساب غدًا أن تحاسبوا أنفسكم، وَتَزَيَّنُوا ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [**الحاقة: ١٨**][٢].

ومقتضى حساب المرء لنفسه أن يتوب من كل معصية قبل الموت، توبة نصوحًا، ويتدارك ما سبق من تقصير، ويرد المظالم إلى أهلها، ويستحل كل من تعرض له بلسانه ويده وسطوته، ويطَيِّب قلوبهم، ويستقيم على طاعة ربه ما بقي من عمره، والله المستعان.

* * *

(١) البخاري (٦٥٣٤)، والترمذي (٢٤١٩).

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد (٣٠٦)، وابن أبي شيبة (٣٤٤٥٩)، وأبو نعيم في الحلية: ١/ ٥٢.

* الميــزان *

الميزان: ميزان حقيقي، له كفتان ولسان، لكن دقته متناهية، ولا يعلم قدره إلا الله تعالى، توزن فيه أعمال العباد: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢، ١٠٣]؛ وقال ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾ [القارعة: ٦- ١١].

قال ابن أبي العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والذي دلت عليه السنة أن ميزان الأعمال له كفتان حسيتان مشاهدتان[١].

روى الإمام أحمد والترمذي عن عَبْدِ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ- رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ:**

---

(١) انظر (شرح العقيدة الطحاوية) ص ٤١٨، ٤١٩.

أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلاتِ؟ فَقَالَ: إِنَّكَ لا تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلاتُ فِي كَفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلاتُ، وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ؛ فَلا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ»(١).

* ما الذي يوزن يوم القيامة؟ *

الوزن يوم القيامة هو الوزن الحق، الذي لا ظلم فيه، قال الله تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٨، ٩]؛ ولكن هل توزن الأعمال، أم يوزن كتاب الأعمال، أم يوزن

---

(١) أحمد: ٢/ ٢١٣، والترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، وابن حبان (٢٢٥)، والحاكم: ١/ ٤٦، وصححه على شرط مسلم.

صاحب العمل؟

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ ما خلاصته: والذي يوضع في الميزان يوم القيامة، قيل: الأعمال، وإن كانت أعراضًا، إلا أن الله تعالى يقلبها يوم القيامة أجسامًا؛ قال البغوي: يروى هذا عن ابن عباس(١)، كما جاء في الصحيح من أن البقرة وآل عمران يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف(٢).

وقيل: يوزن كتاب الأعمال، كما جاء في حديث البطاقة(٣).

وقيل: يوزن صاحب العمل؛ كما في الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: « **إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ** »؛ وَقَالَ: « اقْرَءُوا: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ »(٤). وفي مناقب

(١) انظر تفسير البغوي: ٨/ ٢١٥ (دار طيبة).

(٢) رواه مسلم (٨٠٤) من حديث أبي أمامة.

(٣) تقدم قريبًا.

(٤) البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥)، والآية في سورة الكهف (١٠٥).

ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ما تَضْحَكُونَ؟**» قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ؛ فَقَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ**»(١)، وقد يمكن الجمع بين هذه الآثار بأن يكون ذلك كله صحيحًا، فتارة توزن الأعمال، وتارة توزن محالها، وتارة يوزن فاعلها؛ والله أعلم(٢).

قال ابن أبي العز رحمه الله: فثبت وزن الأعمال والعامل وصحائف الأعمال؛ وثبت أن الميزان له كفتان، والله تعالى أعلم بما وراء الكيفيات؛ فعلينا الإيمان بالغيب كما أخبرنا الصادق المصدوق ﷺ، من غير زيادة ولا نقصان؛ ويا خيبة من ينفي وضع الموازين القسط ليوم القيامة- كما أخبر الشارع- لخفاء الحكمة عليه، ويقدح في النصوص بقوله: لا يحتاج إلى الميزان إلا البقال والفوَّال! ما أحراه بأن يكون من الذين لا يقيم الله لهم يوم القيامة وزنًا؛ ولو لم يكن من

(١) رواه أحمد: ١/ ٤٢٠، والطيالسي (٣٥٥)، وابن حبان (٧٠٦٩) عن ابن مسعود؛ ورواه أحمد: ١/ ١١٤، والبخاري في الأدب المفرد (٢٣٧) عن علي، وهو صحيح بشواهده.

(٢) انظر (تفسير ابن كثير): ٢/ ٢٠٣ (دار الفكر).

الحكمة في وزن الأعمال إلا ظهور عدله سبحانه لجميع عباده [لكفى]؛ فإنه لا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين؛ فكيف ووراء ذلك من الحكم ما لا اطلاع عليه[١]. اهـ.

* الشهود يوم القيامة على الكفار والمنافقين *

قد يظن بعض من لا علم عنده من أهل النفاق أنهم يستطيعون أن يجادلوا عن أنفسهم ببعض ظواهر أعمالهم، التي يحكم لهم بها في الدنيا بالإسلام، ويحسبون أنهم إن أقسموا بالله على ذلك ينفعهم، كما كانوا يقسمون للمسلمين في الدنيا، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [المجادلة: ١٨]؛ وجهل هؤلاء أن هناك شهودًا كثيرين يشهدون عليهم، وهم شهود عدل وصدق، وهؤلاء الشهود هم:

١ - أركانهم: ألسنتهم، وأيديهم، وأرجلهم، وجلودهم، وعظامهم.

---

(١) انظر (شرح العقيدة الطحاوية) ص ٤١٩.

٢- أموالهم التي جمعوها وكنزوها.

٣- الأرض التي يمشون عليها.

٤- الملائكة الكرام الكاتبين.

٥ – الرسل.

٦- أمة محمد.

* شهادة الأركان *

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤]، وقال ﷻ: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥]، وقال ﷻ: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝١٩ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٢٠ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢١ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝٢٢ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم

مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [فصلت: ١٩- ٢٣]، وقال ﷻ: ﴿**وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ**﴾ [ق: ٢١].

وروى مسلم والنسائي وأبو يعلى وابن حبان عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَضَحِكَ، فَقَالَ: « **هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ** »؛ قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ؛ قَالَ: « **مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ يَقُولُ يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ قَالَ يَقُولُ بَلَى. قَالَ فَيَقُولُ فَإِنِّي لاَ أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلاَّ شَاهِدًا مِنِّي؛ فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا؛ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، فَيُقَالُ لأَرْكَانِهِ: انْطِقِي، فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ؛ ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلاَمِ، فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ** »(١)، أي: أدافع وأخاصم.

وروى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: « **هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ، لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ؟** »، قَالُوا: لا، قَالَ:

---

(١) مسلم (٢٩٦٩)، والنسائي في الكبرى (١١٦٥٣)، وأبو يعلى (٣٩٧٧)، وابن حبان (٧٣٥٨).

«فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَيْسَ فِي سَحَابَةٍ»، قَالُوا: لا، قَالَ: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ إِلا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا»؛ قَالَ: «فَيَلْقَى الْعَبْدَ، فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ! أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ، وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلاقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي[١].

ثُمَّ يَلْقَى الثَّانِيَ، فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ، أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ، وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، أَيْ رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلاقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي، ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ، فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ؛ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، آمَنْتُ بِكَ، وَبِكِتَابِكَ، وَبِرُسُلِكَ، وَصَلَّيْتُ، وَصُمْتُ، وَتَصَدَّقْتُ، وَيُثْنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ؛ فَيَقُولُ: هَا هُنَا إِذًا؛ قَالَ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الْآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ،

---

(١) المعنى: ترك عبادته فتركه في العذاب؛ لأن الله تعالى لا ينسى بالمعنى المعروف لدى الناس، والنسيان في اللغة أصله الترك.

وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ: مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ؟! فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ: انْطِقِي، فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ، وَذَلِكَ لِيُعْذِرَ مِنْ نَفْسِهِ؛ وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ، وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللَّهُ عَلَيْهِ »(١).

هذه الشهود على المنافقين والكفار، الذين عندما يعاينون العذاب يلجأون إلى التكذيب والإنكار، ويدَّعون أنهم ما كانوا مشركين، قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ٢٢- ٢٤].

وفي حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ المتقدم: « **وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ، وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللَّهُ عَلَيْه** ».

* * *

(١) مسلم (٢٩٦٨).

* شهادة الأرض *

أما شهادة الأرض، فروى أحمد والترمذي وصححه والنسائي، وصححه ابن حبان والحاكم ووافقه الذهبي، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿**يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا**﴾ [الزلزلة: ٤]، قَالَ: « **أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارُهَا؟** »، قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: « **فَإِنَّ أَخْبَارَهَا أَنْ تَشْهَدَ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَى ظَهْرِهَا، أَنْ تَقُولَ: عَمِلَ كَذَا وَكَذَا، يَوْمَ كَذَا وَكَذَا** » قَالَ: « **فَهَذِهِ أَخْبَارُهَا** »(١).

* شهادة الأموال *

فروى أحمد والشيخان عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حديث طويل، وفيه: «.. **وَإِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرٌ حُلْوٌ وَنِعْمَ**

---

(١) أحمد: ٢/ ٣٧٤، والترمذي (٢٤٢٩) وحسنه؛ ورواه أيضًا (٣٣٥٣)، ثم قال: حسن صحيح غريب. اهـ. والنسائي في الكبرى (١١٦٩٣)، وفيه يحيى بن أبي سليمان: لين الحديث، كما في (التقريب)؛ ورواه الحاكم: ٢/ ٢٥٦، وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي، ثم رواه: ٢/ ٥٣٢، وصححه، وتعقبه الذهبي قال: يحيى هذا منكر الحديث، كما قال البخاري. اهـ.

صَاحِبُ الْمُسْلِمِ هُوَ لِمَنْ أَعْطَى مِنْهُ الْمِسْكِينَ وَالْيَتِيمَ وَابْنَ السَّبِيلِ- أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ- **وَإِنَّهُ مَنْ يَأْخُذُهُ بِغَيْرِ حَقِّهِ، كَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلاَ يَشْبَعُ، وَيَكُونُ عَلَيْهِ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ** »، لفظ مسلم(١).

* شهادة الملائكة *

في حديث أنس المتقدم: « **وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا** »، والكرام الكاتبين هم الملائكة الذين كانوا يحصون عليه أعماله وأقواله، ويكتبونها.

* شهادة الرسل *

قال الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ **[النحل: ٨٩]**، ﴿ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ **[القصص: ٧٥]**، وشهيد كل أمة رسولها؛ قال الله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ **[النساء: ٤١]**.

---

(١) أحمد: ٣/ ٧، والبخاري (١٤٦٥)، ومسلم (١٠٥٢).

* شهادة أمة محمد ﷺ *

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]؛ وروى أحمد والبخاري وغيرهما عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، أَيْ رَبِّ، فَيَقُولُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: لا، مَا جَاءَنَا مِنْ نَبِيٍّ! فَيَقُولُ لِنُوحٍ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ مُحَمَّدٌ ﷺ وَأُمَّتُهُ، فَنَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ**»، وَهُوَ قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾، **وَالْوَسَطُ: الْعَدْلُ**»(١).

فمن يستطيع- مع حصر الأعمال، ودقة الحساب، وكثرة الشهود- أن يناضل أو يجادل؟ فاتق الله عبد الله، في ظهورك وخفائك، فإنه لا يخفى عليه خافية، والظلمة عنده نور، والسر عنده علانية، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

* * *

(١) أحمد: ٣/ ٣٢، والبخاري (٣٣٣٩).

* حوض النبي ﷺ *

الحوض لغة: مجتمع الماء؛ وحوض النبي ﷺ هو الحوض الذي وعده الله تعالى، ليسقي منه أمته يوم القيامة؛ وأحاديث الحوض متواترة ثابتة عن جمع من الصحابة رضي الله عنهم، مما يحصل به العلم القطعي، ولهذا اتفق العلماء على أن الإيمان به فرض؛ قال القاضي عياض رحمه الله: أحاديث الحوض صحيحة، والإيمان به فرض، والتصديق به من الإيمان، وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة، لا يتأول، ولا يختلف فيه، وحديثه متواتر النقل؛ رواه خلائق من الصحابة رضي الله عنهم. اهـ[١]. وقال القرطبي رحمه الله: وأجمع على إثباته السلف وأهل السنة من الخلف. اهـ[٢]. وقال أبو عمر ابن عبد البر رحمه الله: الأحاديث في حوضه ﷺ متواترة صحيحة ثابتة كثيرة؛ والإيمان بالحوض عند جماعة علماء المسلمين واجب، والإقرار به عند الجماعة لازم، وقد نفاه أهل البدع من

---

(١) انظر (شرح مسلم) للنووي: ١٥/ ٥٣.

(٢) القرطبي صاحب (المفهم شرح صحيح مسلم)، وانظر فتح الباري: ١١/ ٤٦٧.

الخوارج والمعتزلة، وأهل الحق على التصديق بما جاء عنه في ذلك ﷺ. اهـ[١]. وقال ابن كثير رحمه الله في (تفسيره) وهو يتحدث عن الكوثر: وقد صح أصل ذلك، بل قد تواتر من طرق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث، وكذلك أحاديث الحوض. اهـ[٢]. وقال ابن القيم رحمه الله في (حاشيته على أبي داود): وقد روى أحاديث الحوض أربعون من الصحابة رضي الله عنهم، وأكثرها في الصحيح. اهـ[٣]. وقال ابن حجر رحمه الله في (الفتح) بعد أن ذكر أسماء من رووا أحاديث الحوض: فجميع من ذكرهم عياض خمسة وعشرون نفسًا، وزاد عليه النووي ثلاثة، وزدت عليهم أجمعين قدر ما ذكروه سواء، فزادت العدة على الخمسين، ولكثير من هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم في ذلك زيادة على الحديث الواحد، كأبي هريرة، وأنس، وابن عباس، وأبي سعيد، وعبد الله بن عمرو، وأحاديثهم بعضها في

---

(١) التمهيد: ٢/ ٢٩١.

(٢) انظر (تفسير ابن كثير): ٤/ ٥٥٩.

(٣) انظر (حاشية ابن القيم على سنن أبي داود): ١٣/ ٥٦ (الكتب العلمية).

مطلق ذكر الحوض، وبعضها في صفته، وبعضها فيمن يرد عليه، وبعضها فيمن يُدفع عنه... قال: وبلغني أن بعض المتأخرين وصلها إلى رواية ثمانين صحابيًا.ا.هـ[(١)].

وقد ثبت أن لكل نبي حوضًا، يَرِدُهُ المؤمنون من أتباعه، لكن حوض نبينا ﷺ أعظمهم وأكثرهم واردًا، روى البخاري في (تاريخه) والترمذي والطبراني من حديث الحسن عن سمرة قال: قال النبي ﷺ: « **إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا يَتَبَاهَوْنَ بِهِ، أَيُّهُمْ أَكْثَرُ وَارِدَةً، وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ وَارِدَةً** »[(٢)]. وهو حديث صحيح بشواهده.

ويتلخص من مجموع الأحاديث الواردة في الحوض- والتي سنذكر بعضها إن شاء الله تعالى- أنه حوض عظيم، ومورد كريم، طوله مسيرة شهر، وعرضه كذلك، فهو مربع الشكل، له ميزابان يمدانه من نهر الكوثر، ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، عدد كيزانه كعدد نجوم السماء، من

---

(١) انظر فتح الباري: ١١/ ٤٦٩ (دار المعرفة).

(٢) البخاري في تاريخه الكبير: ١/ ٤٤ (٨١)، والترمذي (٢٤٤٣)، والطبراني في الكبير: ٧/ ٢١٢ (٦٨٨١).

شرب منه لا يظمأ بعده أبدًا، يَرِدَهُ الأخيار الذين آمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر وعملوا بسنة النبي ﷺ، ويطرد عنه الكفار والمنافقون ومن أحدث في دين الله ما ليس منه، وأول الناس ورودًا له فقراء المهاجرين.

* أحاديث الحوض *

روى الشيخان عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال النبي ﷺ: «حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منها فلا يظمأ أبدًا»؛ ورواه الطبراني في الكبير عن ابن عباس بنحوه[١].

وروى أحمد ومسلم عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال نبي الله ﷺ: « ترى فيه أباريق الذهب والفضة، كعدد نجوم السماء » وفي رواية: « أو أكثر من عدد نجوم السماء »[٢].

وروى أحمد والطبراني في الأوسط عَنْ ابْنِ عُمَرَ-

(١) البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٢٩٢) عن ابن عمرو؛ ورواه الطبراني في الكبير: ١١/ ١٢٥ (١١٢٤٩).

(٢) أحمد: ٣/ ٢٣٨، ومسلم (٢٢٠٣).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**حَوْضِي كَمَا بَيْنَ عَدَنَ وَعَمَّانَ، أَبْرَدُ مِنْ الثَّلْجِ، وَأَحْلَى مِنْ الْعَسَلِ، وَأَطْيَبُ رِيحًا مِنْ الْمِسْكِ، أَكْوَابُهُ مِثْلُ نُجُومِ السَّمَاءِ؛ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً، لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا؛ أَوَّلُ النَّاسِ عَلَيْهِ وُرُودًا صَعَالِيكُ الْمُهَاجِرِينَ**» قَالَ قَائِلٌ: وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: « **الشَّعِثَةُ رُءُوسُهُمْ، الشَّحِبَةُ وُجُوهُهُمْ، الدَّنِسَةُ ثِيَابُهُمْ؛ لَا يُفْتَحُ لَهُمْ السُّدَدُ، وَلَا يَنْكِحُونَ الْمُتَنَعِّمَاتِ؛ الَّذِينَ يُعْطُونَ كُلَّ الَّذِي عَلَيْهِمْ، وَلَا يَأْخُذُونَ الَّذِي لَهُمْ** »؛ ورواه أحمد والطيالسي والترمذي وابن ماجه والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، عن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنحوه(١).

وقوله: « **الشَّعِثَةُ رُءُوسُهُمْ** » هي الرؤوس البعيدة العهد بدهن، وغسل، وتسريح شعرها؛ « **الشَّحِبَةُ وُجُوهُهُمْ** » من الشحوب، وهو: تغير الوجه من جوع أو هزال أو تعب؛ وقوله: « **الدَّنِسَةُ ثِيَابُهُمْ** »: الوسخة؛ وقوله: « **لَا يُفْتَحُ لَهُمْ**

---

(١) حديث ابن عمر رواه أحمد: ٢/ ١٣٢، الطبراني في الأوسط (٣٤٧٧)؛ وحديث ثوبان رواه أحمد: ٥/ ٢٧٥، والطيالسي (٩٩٥)، والترمذي (٢٤٤٤)، وابن ماجه (٤٣٠٣)، والحاكم (٧٣٧٤).

السُّدَدُ»، أي: لا تفتح لهم الأبواب، أي: لا يأبه الناس بهم؛ وهذا لبيان ما كانوا عليه من اهتمام بأمور الآخرة، وترك زينة الدنيا.

وروى الشيخان عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ، حَتَّى أَنْظُرَ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ، وَسَيُؤْخَذُ نَاسٌ دُونِي؛ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ مِنِّي، وَمِنْ أُمَّتِي؛ فَيُقَالُ: هَلْ شَعَرْتَ مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ؟ وَاللَّهِ مَا بَرِحُوا يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ**»؛ فَكَانَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَرْجِعَ عَلَى أَعْقَابِنَا، أَوْ نُفْتَنَ عَنْ دِينِنَا. ورواه أحمد ومسلم عن عائشة بنحوه(١).

وروى الشيخان عَنْ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، فَمَنْ وَرَدَهُ شَرِبَ مِنْهُ، وَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ أَبَدًا؛ لَيَرِدُ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ**»؛ قَالَ أَبُو حَازِمٍ: فَسَمِعَنِي النُّعْمَانُ بْنُ أَبِي عَيَّاشٍ وَأَنَا

---

(١) البخاري (٦٥٩٣)، ومسلم (٢٢٩٣). ورواه أحمد: ٦/ ١٢١، ومسلم (٢٢٩٤)، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

أُحَدِّثُهُمْ هَذَا؛ فَقَالَ: هَكَذَا سَمِعْتَ سَهْلًا؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ؛ قَالَ: وَأَنَا أَشْهَدُ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ لَسَمِعْتُهُ يَزِيدُ فِيهِ: « **قَالَ: إِنَّهُمْ مِنِّي؛ فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا بَدَّلُوا بَعْدَكَ؛ فَأَقُولُ: سُحْقًا، سُحْقًا، لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي** »[١].

وقد صحح جماعة منهم الغزالي والقرطبي وابن القيم- رحمهم الله تعالى- أن الحوض قبل الصراط، وذهب آخرون منهم القاضي عياض أنه بعد الصراط؛ والصواب الأول، لأنه يزاد عنه الكفار والمنافقون، وليس بعد الصراط كفار ولا منافقون، والعلم عند الله تعالى.

والواجب الإيمان بالحوض على ما قدمنا؛ اللهم أوردنا حوض نبينا، ولا تفتنا بعده، واسقنا بيده الشريفة شربة لا نظمأ بعدها أبدًا... آمييين.



(١) البخاري (٦٥٨٥)، ومسلم (٢٢٩١).

* الصـراط *

الصراط بالسين والصاد، لغتان، وأصل صاده سين، قلبت مع الطاء صادًا لقرب مخرجهما، وهو الطريق الواضحة، وإنما قيل للطريق الواضحة (صراط) لأنها تبتلع من يمر بها، فالسرط البلع، والمعنى أنها تتسع لكل من يمر فيها.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولا تكون الطريق صراطًا حتى تتضمن خمسة أمور:

الاستقامة، والإيصال إلى المقصود، والقرب، وسعته للمارين عليه، وتعينه طريقًا للمقصود. اهـ[1].

والمراد بالصراط يوم القيامة ذلك الجسر المضروب على متن جهنم، يرِدُه الأولون والآخرون، أدق من الشعرة، وأحد من السيف، عليه كلاليب وشوك مثل شوك السِّعدان، فيمر عليه الأولون والآخرون، فينجو المؤمنون، ويسقط المنافقون ومن كتب عليه أن يسقط من عصاة المؤمنين، تتخطفهم الكلاليب إلى جهنم، ثم يخرج بعد ذلك من جهنم من كان في

---

(١) انظر (مدارج السالكين): ١/ ١٠.

قلبه مثقال ذرة من إيمان، ويبقى فيها الكافرون مخلدين أبد الآبدين. فاللهم سلِّم سلِّم.

قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧١، ٧٢].

اختلف في الورود: فقيل: هو الدخول، ومنه قوله تعالى في حق فرعون: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾ [هود: ٩٨]؛ وإلى هذا ذهب ابن عباس، وجابر، وعبد الله بن رواحة.. وغيرهم، وقالوا: إنها تكون على المؤمنين بردًا وسلامًا، كما كانت على إبراهيم.

فروى أحمد وعبد بن حميد عَنْ أَبِي سُمَيَّةَ قَالَ: اخْتَلَفْنَا هَاهُنَا فِي الْوُرُودِ، فَقَالَ بَعْضُنَا: لَا يَدْخُلُهَا مُؤْمِنٌ؛ وَقَالَ بَعْضُنَا: يَدْخُلُونَهَا جَمِيعًا، ثُمَّ يُنَجِّي اللهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا؛ فَلَقِيتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّا اخْتَلَفْنَا فِي ذَلِكَ الْوُرُودِ؛ فَقَالَ بَعْضُنَا: لَا يَدْخُلُهَا مُؤْمِنٌ، وَقَالَ بَعْضُنَا: يَدْخُلُونَهَا جَمِيعًا؛ فَأَهْوَى بِإِصْبَعَيْهِ إِلَى أُذُنَيْهِ، وَقَالَ: صُمَّتَا إِنْ لَمْ أَكُنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**الْوُرُودُ الدُّخُولُ، لَا يَبْقَى بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ إِلَّا دَخَلَهَا؛**

فَتَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِ بَرْدًا وَسَلَامًا، كَمَا كَانَتْ عَلَى إِبْرَاهِيمَ؛ حَتَّى إِنَّ لِلنَّارِ - أَوْ قَالَ: **لِجَهَنَّمَ** - **ضَجِيجًا مِنْ بَرْدِهِمْ؛ ثُمَّ يُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَيَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا**»[1].

وقيل: **الورود القيام حول النار**، ثم يصدرون عن الصراط بأعمالهم؛ ومعنى الورود على ذلك: الوصول عندها، والوقوف عليها، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾ **[القصص: ٢٣]**، وإلى هذا ذهب ابن مسعود وغيره؛ روى الترمذي وأبو يعلى بإسناد حسن والحاكم وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي عَنْ السُّدِّيِّ قَالَ: سَأَلْتُ مُرَّةَ الْهَمْدَانِيَّ عَنْ قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ فَحَدَّثَنِي أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ حَدَّثَهُمْ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَرِدُ النَّاسُ النَّارَ، ثُمَّ يَصْدُرُونَ مِنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ؛ فَأَوَّلُهُمْ كَلَمْحِ الْبَرْقِ، ثُمَّ كَالرِّيحِ، ثُمَّ كَحُضْرِ الْفَرَسِ، ثُمَّ كَالرَّاكِبِ فِي رَحْلِهِ، ثُمَّ كَشَدِّ الرَّجُلِ، ثُمَّ كَمَشْيِهِ**»[2].

---

(١) أحمد: ٣/٣٢٨، وعبد بن حميد (١١٠٦)، والبيهقي في الشعب (٣٧٠)، وقال: هذا إسناد حسن؛ ورواه الحاكم (٨٧٤٤) عن عبد×الرحمن بن شيبة، وصححه، ووافقه الذهبي.

(٢) الترمذي (٣١٦٠) وحسنه، وأبو يعلى (٥٠٨٩، ٥٢٨٢)، والحاكم:=

وروى الحاكم وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي عن ابن مسعود: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ قال: الصِّرَاطُ عَلَى جَهَنَّمَ مِثْلَ حَدِّ السَّيْفِ، فتمر الطائفة الأولى كَالْبَرْقِ، والثانية كَالرِّيحِ، والثالثة كأجود الخيلِ، والرابعة كأجود الإبلِ والبهائمِ، ثم يمرون، والملائكة تقول: ربِّ سلِّم سلم[1]. وأحاديث المرور على الصراط كثيرة.

وها هنا قول ثالث هو أن الورود للكافرين والعصاة بمعنى الدخول، وأما للمؤمنين فهو بمعنى المرور على الصراط؛ قاله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم[2].

وروى أحمد وابن ماجه عن أبي سعيد قال: قال

=×٢/ ٣٧٥، ٤/ ٥٨٦، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي؛ ورواه أحمد مختصرا: ١/ ٤٣٤.

(١) الحاكم: ٢/ ٣٧٥، ٣٧٦، وصححه على شرطهما، ووافقه الذهبي؛ وله شواهد: عند أحمد: ٣/ ٢٥، ٢٦، والبخاري (٧٤٤٠)، ومسلم (١٨٣)، والنسائي في الكبرى (١١٣٢٧)، وابن حبان (٧٣٧٩) عن أبي سعيد؛ وحديث أبي هريرة رواه البخاري (٨٠٦، ٦٥٧٤)، ومسلم (١٨٢)؛ وحديث جابر رواه أحمد: ٣/ ٣٤٥، ٣٨٣، ومسلم (١٩١).

(٢) انظر (تفسير ابن كثير) عند الآية (٧١، ٧٢) من سورة مريم.

رسول الله ﷺ: « **يُوضَعُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ جَهَنَّمَ، عَلَى حَسَكٍ كَحَسَكِ السَّعْدَانِ، ثُمَّ يَسْتَجِيزُ النَّاسُ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوجٌ بِهِ ثُمَّ نَاجٍ، وَمُحْتَبَسٌ بِهِ، وَمَنْكُوسٌ فِيهَا** »(١).

وروى أحمد وابن أبي عاصم في (السنة) عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**يُحْمَلُ النَّاسُ عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَتَقَادَعُ بِهِمْ جَنَبَةُ الصِّرَاطِ تَقَادُعَ الْفَرَاشِ فِي النَّارِ**» قَالَ: «**فَيُنْجِي اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ**»، قَالَ: «**ثُمَّ يُؤْذَنُ لِلْمَلائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ أَنْ يَشْفَعُوا، فَيَشْفَعُونَ وَيُخْرِجُونَ، وَيَشْفَعُونَ وَيُخْرِجُونَ، وَيَشْفَعُونَ وَيُخْرِجُونَ**»، وَزَادَ عَفَّانُ مَرَّةً، فَقَالَ- أَيْضًا: « **وَيَشْفَعُونَ، وَيُخْرِجُونَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مَا يَزِنُ ذَرَّةً مِنْ إِيمَانٍ** »؛ ورواه الطبراني في الصغير والكبير والبزار بنحوه(٢).

وروى أحمد×، ومسلم×، والترمذي×، وابن ماجه عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ:

---

(١) أحمد: ٣/ ١١، وابن ماجه (٤٢٨٠)، وإسناده حسن، ورواه الحاكم (٨٧٣٨) وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٢) أحمد: ٥/ ٤٣، وابن أبي عاصم في السنة (٨٣٧)، والبزار (٣٦٩٧)، والطبراني في الصغير (٩٢٩)، وإسناده حسن.

﴿ يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، فَأَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ، يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: « **عَلَى الصِّرَاطِ** »(١).

وروى أحمد أبو يعلى وابن حبان بإسناد صحيح عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**يُعْرَضُ النَّاسُ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ، وَعَلَيْهِ حَسَكٌ وَكَلالِيبُ وَخَطَاطِيفُ تَخْطَفُ النَّاسَ** »، قَالَ: « **فَيَمُرُّ النَّاسُ مِثْلَ الْبَرْقِ، وَآخَرُونَ مِثْلَ الرِّيحِ، وَآخَرُونَ مِثْلَ الْفَرَسِ الْمُجِدِّ، وَآخَرُونَ يَسْعَوْنَ سَعْيًا، وَآخَرُونَ يَمْشُونَ مَشْيًا، وَآخَرُونَ يَحْبُونَ حَبْوًا، وَآخَرُونَ يَزْحَفُونَ زَحْفًا، فَأَمَّا أَهْلُ النَّارِ فَلا يَمُوتُونَ وَلا يَحْيَوْنَ، وَأَمَّا نَاسٌ فَيُؤْخَذُونَ بِذُنُوبِهِمْ، فَيُحْرَقُونَ، فَيَكُونُونَ فَحْمًا، ثُمَّ يَأْذَنُ اللَّهُ فِي الشَّفَاعَةِ..** » الحديث(٢).

إن الخطب عظيم، والموقف مهيب، والكل يُخرصه الهول، ويذهله شدة الأمر، ولا يتكلم إلا الرسل، يقولون: «**اللهم سلِّم، سلِّم**».

---

(١) أحمد: ٦/ ٣٥، ١٠١، ومسلم (٢٧٩١)، الترمذي (٣١٢١)، وابن ماجه (٤٢٧٩).

(٢) أحمد: ٣/ ٢٥، ٢٦، وأبو يعلى (١٢٥٣)، وابن حبان (٧٣٧٩).

* المواطن التي لا يعرف فيها أحدٌ أحدًا *

الصراط أحد ثلاثة مواطن لا يعرف فيها أحدٌ أحدًا، فروى أحمد وأبو داود عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا ذَكَرَتِ النَّارَ فَبَكَتْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا يُبْكِيكِ**»، قَالَتْ: ذَكَرْتُ النَّارَ فَبَكَيْتُ، فَهَلْ تَذْكُرُونَ أَهْلِيكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **أَمَّا فِي ثَلاثَةِ مَوَاطِنَ فَلا يَذْكُرُ أَحَدٌ أَحَدًا: عِنْدَ الْمِيزَانِ، حَتَّى يَعْلَمَ أَيَخِفُّ مِيزَانُهُ أَوْ يَثْقُلُ، وَعِنْدَ الْكِتَابِ، حِينَ يُقَالُ:** ﴿فَيَقُولُ هَاؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩]، **حَتَّى يَعْلَمَ أَيْنَ يَقَعُ كِتَابُهُ، أَفِي يَمِينِهِ، أَمْ فِي شِمَالِهِ، أَمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ، وَعِنْدَ الصِّرَاطِ، إِذَا وُضِعَ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ** » لفظ أبي داود(١).

* * *

(١) أحمد: ٦/ ١٠١، وأبو داود (٤٧٥٥)، والحاكم: ٤/ ٦٢٢ (٨٧٢٢) وقال: حديث صحيح، إسناده على شرط الشيخين لولا إرسال فيه بين الحسن وعائشة، على أنه قد صحت الروايات أن الحسن كان يدخل وهو صبي منزل عائشة وأم سلمة؛ ووافقه الذهبي. قلتُ: وله متابعة عند ابن أبي شيبة (٣٤٤٠٦) عن الشعبي عن عائشة، فالحديث بها حسن إن شاء الله.

❁ أول من يجوز على الصراط ❁

أول من يجوز الصراط النبي محمد ﷺ وأمته، فقد روى الشيخان من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «.. **فَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنْ الرُّسُلِ بِأُمَّتِهِ، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا الرُّسُلُ، وَكَلَامُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ، سَلِّمْ؛ وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ؛ هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟** » قَالُوا: نَعَمْ؛ قَالَ: « **فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ؛ تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُوبَقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُخَرْدَلُ، ثُمَّ يَنْجُو؛ حَتَّى إِذَا أَرَادَ اللَّهُ رَحْمَةَ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ، فَيُخْرِجُونَهُمْ، وَيَعْرِفُونَهُمْ بِآثَارِ السُّجُودِ، وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ..** » الحديث(١).

وروى الحاكم وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي عَنْ سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يُوضَعُ**

(١) البخاري (٨٠٦، ٧٤٣٨)، ومسلم (١٨٢).

الْمِيزَانُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَوْ وُزِنَ فِيهِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ لَوُسِعَتْ، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: يَا رَبِّ لِمَنْ يَزِنُ هَذَا؟، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: لِمَنْ شِئْتُ مِنْ خَلْقِي، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ، وَيُوضَعُ الصِّرَاطُ مِثْلَ حَدِّ الْمُوسَى، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: يَا رَبِّ مَنْ تُجِيزُ عَلَى هَذَا؟ فَيَقُولُ: مَنْ شِئْتَ مِنْ خَلْقِي، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ»(١).

* النور يوم القيامة *

يعطى الناس نورهم على قدر أعمالهم، يعطى المؤمن والمنافق، ثم يطفأ نور المنافقين والمنافقات على الصراط؛ روى أحمد ومسلم عن جَابِرٍ بْنَ عَبْدِ اللهِ مرفوعًا، وقد سُئِلَ عَنِ الْوُرُودِ، فَقَالَ: «**نَجِيءُ نَحْنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ كَذَا وَكَذَا، انْظُرْ أَيْ ذَلِكَ فَوْقَ النَّاسِ؛ قَالَ: فَتُدْعَى الأُمَمُ بِأَوْثَانِهَا وَمَا كَانَتْ تَعْبُدُ؛ الأَوَّلُ فَالأَوَّلُ، ثُمَّ يَأْتِينَا رَبُّنَا بَعْدَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: مَنْ تَنْظُرُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نَنْظُرُ رَبَّنَا؛ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ؛ فَيَقُولُونَ: حَتَّى نَنْظُرَ**

---

(١) الحاكم (٨٧٣٩) الكتب العلمية- بيروت.

إِلَيْكَ؛ فَيَتَجَلَّى لَهُمْ يَضْحَكُ؛ فَيَنْطَلِقُ بِهِمْ، وَيَتَّبِعُونَهُ، وَيُعْطَى كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ- مُنَافِقٍ أَوْ مُؤْمِنٍ- نُورًا، ثُمَّ يَتَّبِعُونَهُ، وَعَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ كَلالِيبُ وَحَسَكٌ، تَأْخُذُ مَنْ شَاءَ اللَّهُ؛ ثُمَّ يَطْفَأُ نُورُ الْمُنَافِقِينَ، ثُمَّ يَنْجُو الْمُؤْمِنُونَ، فَتَنْجُو أَوَّلُ زُمْرَةٍ وُجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، سَبْعُونَ أَلْفًا لاَ يُحَاسَبُونَ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، كَأَضْوَءِ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ، ثُمَّ كَذَلِكَ، ثُمَّ تَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَشْفَعُونَ، حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً؛ فَيُجْعَلُونَ بِفِنَاءِ الْجَنَّةِ، وَيَجْعَلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ يَرُشُّونَ عَلَيْهِمُ الْمَاءَ، حَتَّى يَنْبُتُوا نَبَاتَ الشَّيْءِ فِي السَّيْلِ، وَيَذْهَبُ حُرَاقُهُ؛ ثُمَّ يَسْأَلُ، حَتَّى تُجْعَلَ لَهُ الدُّنْيَا وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهَا مَعَهَا »(١).

وروى الطبراني والحاكم عن ابنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « **يَجْمَعُ اللَّهُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ قِيَامًا أَرْبَعِينَ سَنَةً شَاخِصَةً أَبْصَارُهُمْ إِلَى السَّمَاءِ يَنْتَظِرُونَ فَصْلَ الْقَضَاءِ؛ وَيَنْزِلُ اللَّهُ ﷻ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ، مِنَ الْعَرْشِ إِلَى**

---

(١) أحمد: ٣/ ٣٨٣، ومسلم (١٩١)، وأبو عوانة في مسنده (٣٦٤).

الْكُرْسِيِّ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَمْ تَرْضَوْا مِنْ رَبِّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ وَأَمَرَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، أَنْ يُوَلِّيَ كُلَّ نَاسٍ مِنْكُمْ مَا كَانُوا يَتَوَلَّوْنَ وَيَعْبُدُونَ فِي الدُّنيَا، أَلَيْسَ ذَلِكَ عَدْلا مِنْ رَبِّكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى؛ قَالَ: فَلْيَنْطَلِقْ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ فِي الدُّنْيَا؛ فَيَنْطَلِقُونَ وَيُمَثَّلُ لَهُمْ أَشْيَاءُ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَنْطَلِقُ إِلَى الشَّمْسِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْطَلِقُ إِلَى الْقَمَرِ، وَإِلَى الأَوْثَانِ مِنَ الْحِجَارَةِ، وَأَشْبَاهِ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ؛ وَيُمَثَّلُ لِمَنْ كَانَ يَعْبُدُ عِيسَى شَيْطَانُ عِيسَى، وَيُمَثَّلُ لِمَنْ كَانَ يَعْبُدُ عُزَيْرًا شَيْطَانُ عُزَيْرٍ، وَيَبْقَى مُحَمَّدٌ ﷺ وَأُمَّتُهُ؛ فَيَتَمَثَّلُ الرَّبُّ ﷻ فَيَأْتِيهِمْ فَيَقُولُ: مَا لَكُمْ لا تَنْطَلِقُونَ كَمَا انْطَلَقَ النَّاسُ؟ فَيَقُولُونَ إِنَّ لَنَا لإِلَهًا مَا رَأَيْنَاهُ بَعْدُ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَهُ إِنْ رَأَيْتُمُوهُ؟ فَيَقُولُونَ: إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ عَلامَةً إِذَا رَأَيْنَاهَا عَرَفْنَاهَا، قَالَ: فَيَقُولُ: مَا هِيَ؟ فَيَقُولُونَ: يَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ؛ فَعِنْدَ ذَلِكَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ، فَيَخِرُّ كُلُّ مَنْ كَانَ بِظَهْرِهِ طَبَقٌ، وَيَبْقَى قَوْمٌ ظُهُورُهُمْ كَصَيَاصِيِّ الْبَقَرِ، يُرِيدُونَ السُّجُودَ فَلا يَسْتَطِيعُونَ، وَقَدْ كَانَ يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ،

ثُمَّ يَقُولُ: ارْفَعُوا رُءُوسَكُمْ، فَيَرْفَعُونَ رُءُوسَهُمْ؛ فَيُعْطِيهِمْ نُورَهُمْ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ مِثْلَ الْجَبَلِ الْعَظِيمِ، يَسْعَى بَيْنَ يَدَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورًا مِثْلَ النَّخْلَةِ بِيَمِينِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورًا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ، حَتَّى يَكُونَ رَجُل يُعْطَى نُورَهُ عَلَى إِبْهَامِ قَدَمِهِ، يُضِيءُ مَرَّةً، وَيُطْفِئُ مَرَّةً، فَإِذَا أَضَاءَ قَدَّمَ قَدَمَهُ فَمَشَى، وَإِذَا طُفِئَ قَامَ؛ وَالرَّبُّ ﷻ أَمَامَهُمْ، حَتَّى يَمُرَّ فِي النَّارِ، فَيَبْقَى أَثَرُهُ كَحَدِّ السَّيْفِ دَحْضُ مَزِلَّةٍ؛ وَيَقُولُ: مُرُّوا، فَيَمُرُّونَ عَلَى قَدْرِ نُورِهِمْ، مِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَطَرْفِ الْعَيْنِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْبَرْقِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالسَّحَابِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَانْقِضَاضِ الْكَوْكَبِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرِّيحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَشَدِّ الْفَرَسِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَشَدِّ الرَّجُلِ، حَتَّى يَمُرَّ الَّذِي أُعْطِيَ نُورَهُ عَلَى إِبْهَامِ قَدَمَيْهِ يَحْبُو عَلَى وَجْهِهِ وَيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ، تَخِرُّ رِجْلُ، وَتَعْلَقُ رِجْلٌ، وَيُصِيبُ جَوَانِبَهُ النَّارُ، فَلا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَخْلُصَ، فَإِذَا خَلَصَ وَقَفَ عَلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ لَقَدْ أَعْطَانِي اللَّهُ مَا لَمْ يُعْطِ أَحَدًا أَنْ نَجَّانِي مِنْهَا

بَعْدَ إِذْ رَأَيْتُهَا..» الحديث[١].

*** فائدة:**

من الأعمال التي تكفل الله تعالى لصاحبها بالجواز على الصراط: لزوم المساجد، فعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الْمَسْجِدُ بَيْتُ كُلِّ تَقِيٍّ، وَتَكَفَّلَ اللَّهُ لِمَنْ كَانَ الْمَسجِدُ بَيتَهُ بَالرَّوْحِ، وَالرَّحْمَةَ، وَالْجَوَازَ عَلَى الصِّرَاطِ إِلَى رِضْوانِ اللَّه، إِلَى الْجَنَّةِ**»[٢].

* * *

(١) الطبراني في الكبير: ٩/ ٣٥٩ وإسناده صحيح، والحاكم: ٤/ ٥٩٠: ٥٩٢، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

(٢) الطبراني في الكبير: ٦/ ٢٥٤ (٦١٤٣)، وقال الهيثمي في المجمع: ٢/ ٢٢: رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبزار وقال: إسناده حسن. اهـ×.

قلت: ورجال البزار كلهم رجال الصحيح، وحسنه المنذري في الترغيب.

* رؤية المؤمنين لرب العالمين *

أطبق أهل السنة من السلف والخلف على أن الله تعالى يُرى بالأبصار في الدار الآخرة، والأدلة على ذلك كثيرة من الكتاب والسنة، فقد قرر القرآن هذه القضية في آيات ذوات عدد، وجاءت الأحاديث متواترة معنويًا في تقريرها؛ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (حاشيته على مختصر أبي داود): وقد روى أحاديث الرؤية عن النبي ﷺ جماعة من أصحابه منهم: جرير ابن عبد الله، وأبو رزين العقيلي، وأبو هريرة، وأبو سعيد، وصهيب، وجابر، وأبو موسى، وعبد الله بن مسعود، وابن عباس، وابن عمر، وأنس بن مالك، وعدي بن حاتم، وعمار ابن ياسر، وعمرو بن ثابت الأنصاري، وابن عمرو، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ. اهـ(١).

قال مقيده- عفا الله عنه-: يضاف إليهم: معاذ بن جبل، وثوبان، وعمارة ابن رويبة الثقفي، وحذيفة، وأبو بكر الصديق، وزيد بن ثابت، وأبو أمامة الباهلي، وبريدة

(١) انظر حاشية ابن القيم: ١٣/ ٣٨ (الكتب العلمية).

الأسلمي، وأبو برزة، وعبد الله بن الحارث بن جَزْء الزبيدي، وعبادة بن الصامت، وكعب بن عجرة، وفضالة بن عبيد، وأبي بن كعب، وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

فهؤلاء ثلاثون نفسًا من مشاهير الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وكبرائهم وعلمائهم نقلوه عن رسول الله ﷺ، واتفقوا على ثبوته، ولم يشتهر عن غيرهم خلاف ذلك، فكان إجماعًا، وأهل السنة والجماعة كلهم على الإيمان بذلك، ولم يخالف فيه إلا أهل البدع.

وممن قال بتواترها: القاضي عياض، وابن الجوزي، وابن تيمية، وابن القيم، وابن كثير، والذهبي، وابن أبي العز، وابن حجر، والسخاوي، والسيوطي، ونقل الكتاني رَحِمَهُ اللَّهُ في (نظم المتناثر من الحديث المتواتر) التواتر عن جماعة آخرين.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد ثبت رؤية المؤمنين لله عَزَّ وَجَلَّ في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح من طرق متواترة عند أئمة الحديث، لا يمكن دفعها ولا منعها. اهـ(١).

---

(١) انظر تفسير ابن كثير: ٤/ ٤٥١ (دار الفكر).

وقال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: أحاديث رؤية الله في الآخرة متواترة، والقرآن مصدق لها. اهـ[(١)].

ونظم بعضهم بعض المتواتر، فقال:

مما تواتر حديثُ من كذب ومن بنى لله بيتًا واحتسب

ورؤيةٌ شفاعةٌ والحوضُ ومسحُ خفين وهذي بعضُ

* الأدلة من القرآن العظيم على الرؤية *

١- منها قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]، وهذا من أظهر الأدلة، فإضافة النظر إلى الوجه الذي هو محله، وتعديته بأداة (إلى) الصريحة في نظر العين، وإخلاء الكلام من قرينة تدل على خلافه، حقيقة موضوعة صريحة في أن الله أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلى الرب جَلَّ جَلَالُهُ؛ فإن النظر له عدة استعمالات بحسب صِلاته وتعديه بنفسه: فإن عُدي بنفسه، فمعناه: التوقف والانتظار، كقوله تعالى: ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾

[الحديد: ١٣].

(١) سير أعلام النبلاء: ١٠/ ٤٥٥.

وإن عدي بـ (في)، فمعناه التفكر والاعتبار، كقوله ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥]، وإن عدي بـ (إلى) فمعناه: المعاينة بالأبصار، كقوله تعالى: ﴿ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩٩]، فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذي هو محل البصر؛ أفاده ابن أبي العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (شرح العقيدة الطحاوية[١]). وهو أمر قرره العلماء من القديم؛ قال ابن أبي شامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (ضوء الساري إلى معرفة رؤية الباري): قال إمام الحرمين أبو المعالي الجويني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وجه الدليل من الآية واضح، يغني بوضوحه عن بسط القول وكشفه- ثم ذكر معاني النظر- ثم قال: وإنما يتوقع تردد النظر بين جهات المعاني إذا لم يقيد بـ (إلى)، فإذا قيد به وعدي، لم يفهم منه إلا الرؤية الحقيقية، فتعين حمل الآية على الرؤية والإبصار. اهـ[٢].

٢ - ومنها قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، قال البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (الاعتقاد): وقد فسر

---

(١) انظر شرح الطحاوية: ١/ ١٦٨، ١٦٩ (دار البصيرة).

(٢) ضوء الساري ص ٣٣، ٣٤.

رسول الله ﷺ المبين عن الله ﷻ فمن بعده من الصحابة رضي الله عنهم الذين أخذوا عنه، والتابعين الذين أخذوا عن الصحابة رضي الله عنهم، أن الزيادة في هذه الآية النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى، وانتشر عنه وعنهم إثبات رؤية الله ﷻ في الآخرة بالأبصار. اهـ[١].

وقال ابن كثير رحمه الله: قوله تعالى: ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ هي تضعيف ثواب الأعمال بالحسنة عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، وزيادة على ذلك أيضًا، ويشمل ما يعطيهم الله في الجنان من القصور والحور والرضا عنهم، وما أخفاه لهم من قرة أعين، وأفضل من ذلك وأعلاه النظر إلى وجهه الكريم، فإنه زيادة أعظم من جميع ما أعطوه، لا يستحقونها بعملهم، بل بفضله ورحمته، وقد روي تفسير الزيادة بالنظر إلى وجهه الكريم عن أبي بكر الصديق، وحذيفة بن اليمان، وعبد الله بن عباس، وسعيد بن المسيب، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وعبد الرحمن بن سابط، ومجاهد، وعكرمة، وعامر بن سعد، وعطاء، والضحاك، والحسن، وقتادة، والسدي، ومحمد بن

(١) الاعتقاد: ١/ ١٢٣ (دار الآفاق الجديدة- بيروت).

إسحاق.. وغيرهم من السلف والخلف؛ وقد وردت فيه أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ. اهـ[(١)]. ثم ذكر أحاديث عن صهيب، وأبي موسى، وكعب بن عجرة، وأبي بن كعب.

وللحافظ الدارقطني رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتاب سماه (رؤية الله)، جمع فيه كثيرًا من الأحاديث والآثار الواردة في هذه القضية.

وروى أحمد ومسلم وغيرهم عن صهيب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ تَلا هَذِهِ الْآيَةَ ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، قَالَ: « **إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ؛ نَادَى مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَوْعِدًا يُرِيدُ أَنْ يُنْجِزَكُمُوهُ، فَيَقُولُونَ: وَمَا هُوَ؟ أَلَمْ يُثَقِّلْ مَوَازِينَنَا، وَيُبَيِّضْ وُجُوهَنَا، وَيُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَيُجِرْنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيُكْشَفُ لَهُمُ الْحِجَابُ، فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ** » قَالَ: « **فَوَاللَّهِ، مَا أَعْطَاهُمْ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ، وَلا أَقَرَّ بِأَعْيُنِهِمْ** »[(٢)].

وروى ابن جرير في تفسيره وابن أبي حاتم في تفسيره والدارقطني في (رؤية الله)، واللالكائي في (اعتقاد أهل السنة)

---

(١) انظر تفسير ابن كثير: ٢/ ٤١٥.

(٢) أحمد: ٤/ ٣٣٣، ومسلم (١٨١).

من طرق عن أبي موسى الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مرفوعًا: « **إن الله يبعث يوم القيامة مناديا ينادي: يا أهل الجنة** – بصوت يسمع أولهم وآخرهم – **إن الله وعدكم الحسنى وزيادة: فالحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الرحمن** عَزَّوَجَلَّ »(١). ورواه ابن جرير في تفسيره واللالكائي في (اعتقاد أهل السنة) من طرق عن كعب بن عجرة مرفوعًا بنحوه(٢). ورواه ابن جرير، والدارقطني في (رؤية الله)، واللالكائي في (اعتقاد أهل السنة) عن أبي بن كعب(٣). ورواه الدارقطني في (رؤية الله)، واللالكائي في (اعتقاد أهل السنة) عن أنس مرفوعًا(٤).

٣ – قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [**المطففين: ١٥**]؛ استدل كثير من أهل العلم بهذه الآية على رؤية

---

(١) ابن جرير: ١١/ ٧٤؛ ورواه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٧٨٢)، ورواه ابن أبي حاتم: ٦/ ١٩٤٥، وإسحاق بن راهويه في مسنده (١٤٢٥) من وجه آخر عن أبي موسى موقوفًا.

(٢) ابن جرير: ١١/ ١٠٧ (دار الفكر)، اعتقاد أهل السنة (٧٨١).

(٣) ابن جرير: ١١/ ١٠٧ (دار الفكر)، اعتقاد أهل السنة (٧٨٠).

(٤) اعتقاد أهل السنة (٧٧٩).

الله تعالى في الآخرة، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال الإمام أبو عبد الله الشافعي: في هذه الآية دليل على أن المؤمنين يرونه عَزَّ وَجَلَّ يومئذ؛ وهذا الذي قاله الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في غاية الحسن، وهو استدلال بمفهوم هذه الآية، كما دل عليه منطوق قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، وكما دلت على ذلك الأحاديث الصحاح المتواترة في رؤية المؤمنين ربهم عَزَّ وَجَلَّ في الدار الآخرة، رؤية بالأبصار في عرصات القيامة، وفي روضات الجنان الفاخرة.ا.هـ(١).

قلت: وبنحو الذي قاله الإمام الشافعي قال الإمام مالك، والإمام أحمد رحمهم الله تعالى؛ وقال أبو بكر الآجرّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه (التصديق بالنظر): وقال عَزَّ وَجَلَّ وقد أخبرنا عن الكفار أنهم محجوبون عن رؤيته، فقال جل ذكره: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ **[المطففين: ١٥-١٧]**.

فدل بهذه الآية على أن المؤمنين ينظرون إلى الله عَزَّ وَجَلَّ×،

---

(١) تفسير ابن كثير: ٤/ ٤٨٦، ٤٨٧.

وأنهم غير محجوبين عن رؤيته، كرامة منه لهم. اهـ(١).

* الأدلة من السنة المطهرة على الرؤية *

أما الأدلة من السنة فكثيرة متواترة، منها ما تقدم معنا، ومنها:

ما رواه أحمد والشيخان وغيرهم عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: « **جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلا رِدَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ** »(٢).

وروى الجماعة عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟** »، قَالُوا: لَا، يَا رَسُولَ اللهِ؛ قَالَ: « **فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟** » قَالُوا: لَا، يَا رَسُولَ اللهِ؛ قَالَ: « **فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ؛ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتْبَعْهُ؛ فَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ**

(١) التصديق بالنظر ص ٢٩.

(٢) أحمد: ٤/ ٤١١، والبخاري (٤٨٧٨، ٧٤٤٤)، ومسلم (١٨٠).

يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ؛ وَتَبْقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا؛ فَيَأْتِيهِمْ اللَّهُ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ؛ فَيَقُولُونَ: هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَنَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ؛ فَيَأْتِيهِمْ اللَّهُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَيَتْبَعُونَهُ، وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُهَا.. » الحديث، ونحوه عند الشيخين وغيرهما عن أبي سعيد(١).

وروى الجماعة عن جرير بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، فَقَالَ: « **أَمَا إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لا تُغْلَبُوا عَلَى صَلاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا**» يَعْنِي الْعَصْرَ وَالْفَجْرَ؛ ثُمَّ قَرَأَ:

---

(١) حديث أبي هريرة: رواه أحمد: ٢/ ٢٧٥، ٢٦٨، ٥٣٣، والبخاري (٦٥٧٤، ٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢، ٢٩٦٨)، وأبو داود (٤٧٣٠)، والترمذي (٢٥٤٩، ٢٥٥٤، ٢٥٥٧)، وابن ماجه (١٧٨) وغيرهم. وحديث أبي سعيد: رواه البخاري (٨٠٦، ٤٥٨١)، ومسلم (١٨٣).

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩] »[١]. والأحاديث في ذلك كثيرة.

وفي الأحاديث إثبات الرؤية قبل المرور على الصراط، وكذلك إثباتها في الجنة؛ قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه لحديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ المتقدم: وهذا فيه إشعار بأنهم رأوه في أول ما حشروا، والعلم عند الله؛ وقال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذه الرؤية غير التي تقع في الجنة إكرامًا لهم، فإن هذه للامتحان، وتلك لزيادة الإكرام، كما فسرت به: ﴿ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾؛ قال: ولا إشكال في حصول الامتحان في الموقف؛ لأن آثار التكاليف لا تنقطع إلا بعد الاستقرار في الجنة أو النار؛ قال: ويشبه أن يقال: إنما حجب عنهم تحقق رؤيته أولا، لما كان معهم من المنافقين الذين لا يستحقون رؤيته، فلما تميزوا رفع الحجاب، فقال المؤمنون حينئذ: **(أَنْتَ رَبُّنَا)**.

وقال الطيبي: لا يلزم بأن الدنيا دار بلاء، والآخرة دار

---

(١) أحمد: ٤/ ٣٦٠، ٣٦٢، ٣٦٥، والبخاري (٥٥٤، ٥٧٣)، ومسلم (٦٣٣)، وأبو داود (٤٧٢٩)، والترمذي (٢٥٥١)، والنسائي في الكبرى (٧٧٦٢، ١١٥٢٤)، وابن ماجه (١٧٧) وغيرهم.

جزاء، أن لا يقع في واحد منها ما يخص بالأخرى، فإن القبر أول منازل الآخرة وفيه الابتلاء والفتنة بالسؤال وغيره؛ والتحقيق أن التكليف خاص بالدنيا، وما يقع في القبر وفي الموقف هي آثار ذلك[1]. ا.هـ. مختصرًا؛ والعلم عند الله تعالى.

وصفوة القول: أن أهل السنة أجمعوا على أن رؤية المؤمنين لرب العالمين في الآخرة ممكنة عقلًا، واجبة نقلًا، واقعة فعلًا، بالأبصار، بلا كيف ولا انحصار؛ والعلم عند الله الواحد القهار.

* أصحاب الأعراف *

جاء ذكر أصحاب الأعراف في سورة الأعراف، والأعراف جمع عُرْف (بضم فسكون) وهو المكان المُشرف، أي: المرتفع، ومنه عُرف الديك لارتفاعه، وكذلك عُرف الفرس.

قال الله تعالى ذاكرًا ما يكون بين أهل الجنة وأهل النار من مخاطبة ومناداة، لبيان أن وعيد الله للكافرين واقع، كما أن

(١) نقلا عن (فتح الباري): ١١/ ٤٥١، ٤٥٢.

وعده للمؤمنين صادق: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ﴾ [الأعراف: ٤٤، ٤٥]؛ إنه حوار قصير يزيد أهل النار حسرة إلى حسرتهم، وهمًّا فوق همِّهم، فالمؤمنون على ثقتهم من تحقق وعيد الله لهؤلاء، ومع ذلك فهم يسألون! إنه سؤال تقريع وتعيير، وفيه من السخرية المرة ما فيه، وتكون الإجابة بكلمة واحدة: نعم. ثم يؤذن المؤذن بأمر الله تعالى: ﴿أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٤]، ويتحدد معنى هؤلاء الظالمين بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾، فطريق الاستقامة هو طريق منهج الله وشرعه، والذي يصد عن ذلك إنما يريد العوج، فهم يريدون أن يغيروا ويبدلوا دين الله تعالى عما جعله الله له من استقامته، وهذا لا يتفق ومن يؤمن باليوم الآخر، ويعلم أنه راجع إلى ربه؛ إذًا فالذي يصدُّ عن دين الله إنما يريد الطريق العوجاء، ومن صفات هؤلاء أنهم لا يؤمنون بالآخرة.

وبعد هذا الحوار القصير والفصل بين الفريقين، يأتي مشهد آخر يجليه قول الله تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ [الأعراف: ٤٦]، وحجاب، أي: حاجز، وهو السور الذي ذكره الله تعالى في سورة الحديد: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾، وهو الأعراف التي يقول الله فيها: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾؛ وقيل: هذا الحجاب يكون بين الفريقين، وقيل: بين الجنة والنار؛ والمعنى متقارب، فإنه إذا كان بين الجنة والنار؛ فإنه لا شك يفصل بين الفريقين، ورجح بعضهم أنه بين الفريقين لدلالة الضمير (هم) في (بينهم)، فهو للعقلاء.

وأصحاب الأعراف تعددت الأقوال فيهم، إلا أن أقربها وأسدها- إن شاء الله تعالى- أنهم أناس تساوت حسناتهم وسيئاتهم؛ فلم تبلغ حسناتهم بهم دخول الجنة، كما لم تبلغ بهم سيئاتهم دخول النار، فهم ينتظرون على شرف السور، يرجون رحمة الله تعالى، ويتطلعون أن يأذن لهم بدخول الجنة، وهم يعرفون أصحاب اليمين بسمات لهم، منها: بياض

الوجوه، والنور الذي بين أيديهم، كما يعرفون أصحاب النار بسمات منها: سواد الوجوه، وزرقة العيون، والظلمات التي بين أيديهم؛ وهم يلقون السلام على أهل الجنة، ويطمعون أن يدخلوها.

قال أهل التفسير: واللازم من الآية أن على الأعراف رجالا من أهل الجنة، يتأخر دخولهم، ويقع لهم ما وصف من الاعتبار في الفريقين، فينادون على أصحاب الجنة، فيسلمون عليهم: ﴿أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ﴾، أو يهنئونهم بما نالوا من السلامة من العقوبة، ثم إنهم يمعنون النظر في أحوال أصحاب الجنة، ولا ينظرون إلى أصحاب النار إلا بالصرف لأبصارهم تلقاءهم، عن غير رغبة منهم، ولا ميل إلى ذلك، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٧]، فالصرف ليس بإرادتهم، بل هم محمولون عليه، مفعول بهم ذلك؛ لأن هول المطلع مخوف من سماعه، فضلا عن رؤيته، فضلا عن التلبس به، أعاذنا الله من ذلك، آمين.

ولذلك فبمجرد أن تصرف أبصارهم إلى أصحاب النار،

ويرون ما هم عليه من العذاب الأليم المهين، قالوا: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ وعندما ينظرون إلى أهل النار يرون أناسًا كانوا يعرفونهم في الدنيا من أهل المال والسلطان والاستكبار، فينادون عليهم قائلين: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ **[الأعراف: ٤٨]**، وهو استفهام توبيخ وتقريع، والمعنى: ما أغنى عنكم ما كنتم تجمعون في الدنيا من المال والأجناد والأولاد، مما كنتم تستكبرون به على عباد الله، وتستكبرون على طاعة الله جل وعلا، فها أنتم أولاء في النار لم يغن عنكم ذلك الجمع، ولا ذلك الاستكبار. ثم يتوجهون بالنظر إلى أصحاب الجنة، ويقولون لأصحاب النار: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾، يذكرونهم بما كانوا يقولون عن المؤمنين في الدنيا من أنهم ضالُّون، ويقسمون أنهم لا تنالهم رحمة رب العالمين؛ انظروا الآن، أين هم؟! إنهم في جنات يتنعمون، قد قيل لهم: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ **[الأعراف: ٤٩]**.

وجملة القول: أن أصحاب الأعراف أناس من أهل الجنة تأخر دخولهم لها، سيكون منهم ما قص الله تعالى في سورة

الأعراف من الحوار الذي تقدم، ثم يأذن الله تعالى لهم فيدخلون الجنة؛ روى الحاكم وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أصحاب الأعراف قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار، وقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة، فإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار، قالوا: ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين، فبينما هم كذلك إذا طلع عليهم ربك، قال: قوموا ادخلوا الجنة، فإني قد غفرت لكم[١].

* الجنة والنار *

هذه هي النهاية: إما نعيم مقيم، وإما عذاب أليم؛ فأهل الجنة في الجنة يتنعمون، وأهل النار في النار يعذبون.

وأهل الجنة صنفان: صنف يدخلها ابتداء من غير حساب ولا عقاب؛ والصنف الثاني يتأخر عن دخولها وهم: من يؤخرهم الحساب عن الدخول، وأصحاب الأعراف الذين تقدم الحديث عنهم، وعصاة المؤمنين الذين يتأخرون عن دخولها بسبب معاصيهم التي ما تابوا منها، أو لم تصدق

---

(١) الحاكم: ٢/ ٣٥٠ (٣٢٤٧) الكتب العلمية.

توبتهم منها، فيعذبون حسب خطاياهم ما شاء الله تعالى أن يعذبهم، ثم يؤذن للشفاعة فيهم، فيخرج من يخرج بالشفاعة، ثم يخرج الله تعالى بعد شفاعة الشفعاء برحمته من قال: لا إله إلا الله؛ أبى الله أن يجعل من وحَّدَه كمن جحده. فلا يخلد في النار إلا الكافرون.

روى مسلم وغيره من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا وفيه: « **ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ، وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَقُولُونَ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ** »؛ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْجِسْرُ؟ قَالَ: « **دَحْضٌ مَزِلَّةٌ، فِيهِ خَطَاطِيفُ وَكَلالِيبُ وَحَسَكٌ، تَكُونُ بِنَجْدٍ فِيهَا شُوَيْكَةٌ، يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَالطَّيْرِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ؛ فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ؛ حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ؛ يَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا، وَيُصَلُّونَ، وَيَحُجُّونَ؛ فَيُقَالُ لَهُمْ:**

أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ، فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثيرًا، قَدْ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ، وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ؛ فَيَقُولُ: ارْجِعُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ؛ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا؛ ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ، فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا؛ ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ؛ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا »؛ وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ يَقُولُ: إِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي بِهَذَا الْحَدِيثِ فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]؛ « فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ: شَفَعَتِ الْمَلائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ؛ فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ، قَدْ عَادُوا حُمَمًا فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهْرٍ فِي أَفْوَاهِ

الْجَنَّةِ، يُقَالُ لَهُ: نَهْرُ الْحَيَاةِ؛ فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، أَلاَ تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ، أَوْ إِلَى الشَّجَرِ، مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أُصَيْفِرُ وَأُخَيْضِرُ، وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضَ»؛ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرْعَى بِالْبَادِيَةِ؟! قَالَ: «**فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِمُ، يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ: هَؤُلاَءِ عُتَقَاءُ اللَّهِ، الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلاَ خَيْرٍ قَدَّمُوهُ؛ ثُمَّ يَقُولُ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ، فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ؛ فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ؛ فَيَقُولُ: لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا، فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؟ فَيَقُولُ: رِضَايَ، فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا**»(١).

فأصناف الناس حسب مرورهم على الصراط ثلاثة: ناج مسلَّم، أي: لا يناله شيء أصلا؛ ومخدوش مرسل، أي: يخدش، ثم يرسل فيمر؛ والثالث: مكدوس في نار جهنم، أي: يكدسون بعضهم فوق بعض في النار؛ أعاذنا الله تعالى.

---

(١) مسلم (١٨٣).

أما الصنف الأول: فأهل الجنة، وأما الصنف الثاني: فمن أهل الجنة أيضًا، ولعل منهم أصحاب الأعراف الذين تقدم ذكرهم، وأما الصنف الثالث، فقسمان: الأول: أهل النار الذين هم أهلها وأصحابها، وهم من مات على الكفر من الإنس والجن، وكذلك المنافقون من الإنس والجن، فهؤلاء خالدون في النار، لا يموتون فيها فيستريحون، ولا يحيون حياة فيها انتفاع، بل هم في عذاب أليم مقيم، يتلوَّن عليهم ألوانًا، كما قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ٣٦ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُ﴾، فيكون الجواب: ﴿أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٦، ٣٧]، وأما الكفار من غير المنافقين، فقيل: إنهم لا يمرون على الصراط، بل يسحبون على وجوههم إلى النار، قال الله تعالى: ﴿يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ﴾ [القمر: ٤٨].

والقسم الثاني: هم عصاة المؤمنين، يعذبون حسب

خطاياهم، لأجَلٍ يعلمه الله تعالى، ثم يؤذن للشفاعة فيهم، كما تقدم، فيخرجونَ « **قد امتحشوا** »، كما في حديث أبي هريرة عند الشيخين.

وروى أحمد ومسلم وابن ماجه وغيرهم عَنْ أَبِى سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُمْ لاَ يَمُوتُونَ فِيهَا، وَلاَ يَحْيَوْنَ؛ وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ**- أَوْ قَالَ: **بِخَطَايَاهُمْ- فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً، حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا، أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ، فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ؛ ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ؛ فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ**»؛ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: كَأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ كَانَ بِالْبَادِيَةِ[(١)]. وضبائر، أي: جماعات، والمعنى أنهم يخرجون قد احترقوا حتى صاروا كالفحم، فإذا ألقوا في نهر الحياة أو الحيا، عادت إليهم الحياة؛ ويفيض عليهم أهل الجنة بما يجعله الله تعالى سببًا- أيضًا- في اكتمال نموهم؛ روى أحمد والترمذي عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

---

(١) أحمد: ٣/ ١١، ومسلم (١٨٥)، وابن ماجه (٤٣٠٩)، وابن حبان (١٨٤) وغيرهم.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يُعَذَّبُ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ فِي النَّارِ، حَتَّى يَكُونُوا حُمَمًا فِيهَا، ثُمَّ تُدْرِكُهُمُ الرَّحْمَةُ، فَيَخْرُجُونَ، فَيُلْقَوْنَ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَيَرُشُّ عَلَيْهِمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْمَاءَ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْغُثَاءُ فِي حِمَالَةِ السَّيْلِ، ثُمَّ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ**»(١).

وروى أحمد والبخاري وأبو يعلى عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « **لَيُصِيبَنَّ أَقْوَامًا سَفْعٌ مِنْ النَّارِ بِذُنُوبٍ أَصَابُوهَا عُقُوبَةً، ثُمَّ يُدْخِلُهُمْ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ؛ يُقَالُ لَهُمْ: الْجَهَنَّمِيُّونَ** »؛ وفي لفظ لأحمد: « **يَدْخُلُ النَّارَ أَقْوَامٌ مِنْ أُمَّتِي، حَتَّى إِذَا كَانُوا حُمَمًا أُدْخِلُوا الْجَنَّةَ؛ فَيَقُولُ أَهْلُ الْجَنَّةِ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ فَيُقَالُ: هُمْ الْجَهَنَّمِيُّونَ** »(٢). ورواه أحمد من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنحوه، ورواه أحمد وابن حبان من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنحوه(٣).

والأحاديث في ذلك متواترة كما تقدم؛ وروى أحمد

---

(١) أحمد: ٣/ ٣٩١، والترمذي (٢٥٩٧)، وقال: حسن صحيح.

(٢) أحمد: ٣/ ١٣٣، ١٨٣، والبخاري (٧٤٥٠)، وأبو يعلى (٣٠١٣).

(٣) حديث حذيفة رواه أحمد: ٥/ ٣٩١، ٤٠٢؛ وحديث ابن مسعود رواه= = أحمد: ١/ ٤٥٤، وابن حبان (٧٤٢٨).

والشيخان والترمذي وابن ماجه عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «**إِنِّي لأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ: رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبْوًا، فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلْأَى! فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، قَالَ: فَيَأْتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلْأَى! فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ؛ فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا- أَوْ إِنَّ لَكَ عَشَرَةَ أَمْثَالِ الدُّنْيَا- قَالَ: فَيَقُولُ: أَتَسْخَرُ بِي- أَوْ أَتَضْحَكُ بِي- وَأَنْتَ الْمَلِكُ؟!**»؛ قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ؛ قَالَ: فَكَانَ يُقَالُ: ذَاكَ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً(١).

* وجود الجنة والنار وبقاؤهما *

الجنة والنار مخلوقتان موجودتان، لا تفنيان ولا تبيدان،

(١) أحمد: ١/ ٣٧٨، والبخاري (٦٥٧١)، ومسلم (١٨٦)، والترمذي (٢٥٩٥)، وابن ماجه (٤٣٣٩).

قال اللالكائي رَحِمَهُ اللَّهُ: والجنة والنار مخلوقتان، قد خلقتا كما جاء عن رسول الله ﷺ: «**دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ قَصْرًا**»، «**ورأيت الكوثر**»، «**وَاطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ لأهلها كذا**»، «**وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ كذا، ورأيت كذا**» فمن زعم أنهما لم تخلقا فهو مكذب بالقرآن وأحاديث رسول الله ﷺ، ولا أحسبه يؤمن بالجنة والنار(١). اهـ.

قلتُ: وهذا أمر لم يختلف عليه أحد من أهل السنة والجماعة؛ وأدلة وجودهما وعدم فنائهما كثيرة جدًّا، ونذكر هنا بعضها تبعًا لمنهجنا في الاختصار:

من أدلة وجود الجنة: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ [النجم: ١٣- ١٥]، وقوله جل وعلا: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقوله سبحانه: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ

(١) اعتقاد أهل السنة: ١/ ١٦٤، وانظر شعب الإيمان: ١/ ٣٤٦، وشعار أصحاب الحديث لأبي أحمد الحاكم ص ٣٤، وغيرها.

ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٨٨، ٨٩]؛ ودلالة الآيات واضحة، فالآية الأولى بينت أن جنة المأوى موجودة في السماء السابعة، عند سدرة المنتهى؛ والآيتان بعدها بينتا أن الجنة فرغ منها، فهي معدة موجودة، تنتظر أهلها.. والآيات في هذا المعنى كثيرة جدًّا.

وأما الأحاديث فمتواترة في هذا المعنى - أيضًا؛ فمن ذلك: روى مسلم عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ، فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ، كَانَتْ تُؤْذِى النَّاسَ**»(١).

وفي الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ**»(٢).

وروى أحمد والترمذي وابن حبان عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، فَإِذَا أَنَا بِقَصْرٍ مِنْ ذَهَبٍ،**

---

(١) مسلم (١٩١٤).

(٢) البخاري (١٨٩٩)، ومسلم (١٠٧٩).

فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟ قَالُوا: لِشَابٍّ مِنْ قُرَيْشٍ، فَظَنَنْتُ أَنِّي أَنَا هُوَ؛ فَقُلْتُ: وَمَنْ هُوَ؟ فَقَالُوا: عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ »(١).

وروى أحمد وأبو داود والنسائي عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: « **دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، فَإِذَا أَنَا بِنَهْرٍ حَافَتَاهُ خِيَامُ اللُّؤْلُؤِ، فَضَرَبْتُ بِيَدِي إِلَى مَا يَجْرِي فِيهِ الْمَاءُ، فَإِذَا مِسْكٌ أَذْفَرُ، قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَهُ اللَّهُ** »(٢). وهو عند البخاري بلفظ: « **بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ، إِذَا أَنَا بِنَهَرٍ حَافَتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ الْمُجَوَّفِ، قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ، فَإِذَا طِينُهُ، أَوْ طِيبُهُ مِسْكٌ أَذْفَرُ** » شَكَّ هُدْبَةُ(٣).

وروى الحاكم وصححه عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **دَخَلْتُ الْجَنَّةَ الْبَارِحَةَ، فَنَظَرْتُ فِيهَا؛ فَإِذَا**

---

(١) أحمد: ٣/ ١٠٧، والترمذي (٣٦٨٨) وصححه، وابن حبان (٦٨٨٧).

(٢) أحمد: ٣/ ١٠٣، وأبو داود (٤٧٤٨)، والنسائي في الكبرى (١١٧٠٦)، وهذا لفظ أحمد.

(٣) البخاري (٦٥٨١)، وهدبة أحد رواة الحديث.

جَعْفَرُ يَطِيرُ مَعَ الْمَلائِكَةِ، وَإِذَا حَمْزَةُ مُتَّكِئٌ عَلَى سَرِيرٍ»(١).

* أدلة عدم فناء الجنة *

أما أدلة عدم فنائها فمتكاثرة أيضًا، فمن ذلك: قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾ [الرعد: ٣٥]، وقوله سبحانه: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨]، وقوله جل وعلا: ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص: ٥٤]، وقوله ﷻ: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَـٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التغابن: ٩]، والآيات في ذلك كثيرة جدًّا.

وأما الأحاديث، فمنها: ما روى أحمد ومسلم عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: « **مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ لا**

---

(١) الحاكم (٤٨٩٠)، ورواه الطبراني في الكبير: ٢/١٠٧ (١٤٦٦)، مقتصرًا على ذكر حمزة.

يَبْأَسُ، لا تَبْلَى ثِيَابُهُ، وَلا يَفْنَى شَبَابُهُ »(١).

وروى أحمد ومسلم والترمذي عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: « **يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلا تَبْأَسُوا أَبَدًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ** عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣] »(٢).

* أدلة وجود النار *

أما أدلة وجود النار فكثيرة أيضًا، منها: قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]، وقوله جَلَّ جَلَالُهُ عن فرعون وقومه: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗا﴾ [غافر: ٤٦]، وقوله تعالى: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرٗا﴾ [الفتح: ٦]، وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا﴾ [نوح: ٢٥].

---

(١) أحمد: ٢/ ٤٠٧، مسلم (٢٨٣٦).

(٢) رواه أحمد: ٢/ ٣١٩، ٣/ ٣٨، ٩٥، ومسلم (٢٨٣٧)، والترمذي (٣٢٤٦).

وأما الأحاديث فكثيرة- أيضًا، ومنها: ما رواه أحمد ومسلم عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وجبة، فقال النبي ﷺ: « **تَدْرُونَ مَا هَذَا؟** » قَالَ: قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ! قَالَ: « **هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا، فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الْآنَ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا** »(١).

وروى أحمد والشيخان عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: « **رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ عَامِرِ بْنِ لُحَيٍّ الْخُزَاعِيَّ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ** »(٢).

وفي حديث صلاة الكسوف الذي رواه الشيخان عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: « **لَقَدْ رَأَيْتُ فِي مَقَامِي هَذَا كُلَّ شَيْءٍ وُعِدْتُهُ، حَتَّى لَقَدْ رَأَيْتُ أُرِيدُ أَنْ آخُذَ قِطْفًا مِنَ الْجَنَّةِ، حِينَ رَأَيْتُمُونِي جَعَلْتُ أَتَقَدَّمُ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ جَهَنَّمَ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَأَخَّرْتُ، وَرَأَيْتُ فِيهَا عَمْرَو بْنَ لُحَيٍّ، وَهُوَ الَّذِي سَيَّبَ السَّوَائِبَ** »(٣).

---

(١) أحمد: ٢/ ٣٧١، ومسلم (٢٨٤٤).
(٢) أحمد: ٢/ ٢٧٥، والبخاري (٣٥٢١)، ومسلم (٢٨٥٦).
(٣) البخاري (١٢١٢)، ومسلم (٩٠١)، ورواه النسائي (١٤٧٢)، وابن حبان (٢٨٤١).

* أدلة بقاء النار *

أما أدلة بقائها وعدم فنائها فكثيرة أيضًا، منها: قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: ١٦٨، ١٦٩]، وقوله جل جلاله: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٤- ٧٧]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ﴾ [فاطر: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٤، ٦٥]؛ والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وأما الأحاديث فمنها: ما رواه أحمد والشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ! فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ،**

هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ! فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، فَيُذْبَحُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلا مَوْتَ » ثم قرأ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾ وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا، ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: **٣٩**]»(١).

ورواه أحمد والنسائي وابن ماجه والحاكم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **يُؤْتَى بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُوقَفُ عَلَى الصِّرَاطِ، فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ! فَيَطَّلِعُونَ خَائِفِينَ وَجِلِينَ أَنْ يُخْرَجُوا مِنْ مَكَانِهِمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ! فَيَطَّلِعُونَ مُسْتَبْشِرِينَ فَرِحِينَ أَنْ يُخْرَجُوا مِنْ مَكَانِهِمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ، فَيُقَالُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قَالُوا: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، قَالَ: فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُذْبَحُ عَلَى الصِّرَاطِ، ثُمَّ يُقَالُ لِلْفَرِيقَيْنِ كِلاهُمَا: خُلُودٌ فِيمَا تَجِدُونَ، لا مَوْتَ فِيهَا أَبَدًا** »(٢).

---

(١) أحمد: ٣/ ٩، والبخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩).

(٢) أحمد: ٢/ ٣٧٧، ٤٢٣، ٥١٣، والنسائي في الكبرى (١١٣١٧)، وابن ماجه (٤٣٢٧)، والحاكم: ١/ ٨٣؛ وصححه، ووافقه الذهبي.

وروى أبو يعلى والضياء في المختارة عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: « **يُؤتَى بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ، فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيكَ رَبَّنَا، قَالَ: فَيُقَالُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ رَبَّنَا، هَذَا الْمَوْتُ، فَيُذْبَحُ كَمَا تُذْبَحُ الشَّاةُ، فَيَأْمَنُ هَؤُلاءِ، وَيَنْقَطِعُ رَجَاءُ هَؤُلاءِ** »(١).

وعَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ الْأَوْدِيِّ، قَالَ: قَامَ فِينَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ فَقَالَ: يَا بَنِي أَوْدَ؛ إِنِّي رَسُولُ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ تَعْلَمُونَ الْمَعَادَ إِلَى اللهِ تَعَالَى، ثُمَّ إِلَى الْجَنَّةِ أَوِ إِلَى النَّارِ، وَإِقَامَةٌ لَا ظَعْنَ، وَخُلُودٌ فِي أَجْسَادٍ لَا تَمُوتُ(٢).

وروى أحمد والشيخان عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَصَارَ أَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ، أُتِيَ بِالْمَوْتِ حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ثُمَّ يُذْبَحُ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ لا**

---

(١) أبو يعلى (٢٨٩٨)، والضياء في المختارة (٢٤٤٦، ٢٤٤٧)، وإسناده صحيح.

(٢) الحاكم: ١/ ٨٣، وصححه، ووافقه الذهبي؛ ورواه أبو نعيم في الحلية: ١/ ٢٣٦؛ وصححه الألباني في الصحيحة (١٦٦٨).

مَوْتَ، فَيَزْدَادُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ، وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ »، وفي رواية أن النبي ﷺ قال: « **يُدْخِلُ اللَّهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَيُدْخِلُ أَهْلَ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُومُ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ فَيَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ لا مَوْتَ، كُلٌّ خَالِدٌ فِيمَا هُوَ فِيهِ**» ورواه البخاري عن أبي هريرة مختصرًا(١).

*** فائدة:**

روى أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الْجَنَّةَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ؛ قَالَتِ الْجَنَّةُ: اللَّهُمَّ أَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ؛ وَمَنِ اسْتَجَارَ مِنَ النَّارِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، قَالَتِ النَّارُ: اللَّهُمَّ أَجِرْهُ مِنَ النَّارِ**»(٢).

* * *

(١) رواه أحمد: ٢/ ١١٨، والبخاري (٦٥٤٨)، ومسلم (٢٨٥٠)؛ وحديث أبي هريرة رواه البخاري (٦٥٤٥).

(٢) أحمد: ٣/ ١١٧، والترمذي (٢٥٧٢)، والنسائي (٥٥٢١)، وابن ماجه (٤٣٤٠)، وابن حبان (١٠١٤، ١٠٣٤)، والحاكم (١٩٦٠) وصححه، ووافقه الذهبي.

* الجنة دار الأبرار *

الجنة مكانها في السماء، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ [النجم: ١٣-١٥]؛ وسدرة المنتهى في السماء السابعة، كما في حديث المعراج عند الشيخين عن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وروى أحمد ومسلم والنسائي عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنها في السادسة؛ قال النووي رَحِمَهُٱللَّهُ في (شرح مسلم): ويمكن أن يجمع بينهما فيكون أصلها في السادسة ومعظمها في السابعة، فقد علم أنها في نهاية من العظم. اهـ(١).

قال مقيده- عفا الله عنه-: ويؤيد ذلك ما رواه الحاكم عن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: « **رُفِعَتْ لِي سِدْرَةُ مُنْتَهَاهَا فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، نَبْقُهَا مِثْلُ قِلَالِ هَجَرَ، وَوَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الْفِيَلَةِ، يَخْرُجُ مِنْ سَاقِهَا نَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، وَنَهْرَانِ بَاطِنَانِ؛ قَالَ: قُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، مَا هَذَانِ؟ قَالَ: أَمَّا الْبَاطِنَانِ فَفِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنِّيلُ**

---

(١) شرح مسلم للنووي: ٣/ ٢.

وَالْفُرَاتُ »؛ ورواه أحمد بلفظ: « **رُفِعَتْ لِي سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى، فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، نَبْقُهَا مِثْلُ قِلَالِ هَجَرَ، وَوَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الْفِيَلَةِ، يَخْرُجُ مِنْ سَاقِهَا نَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، وَنَهْرَانِ بَاطِنَانِ؛ فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، مَا هَذَانِ؟ قَالَ: أَمَّا الْبَاطِنَانِ فَفِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنِّيلُ وَالْفُرَاتُ** »(١).

* سعة الجنة *

جاء في بيان عرضها قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]؛ وقوله عز وجل: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [الحديد: ٢١].

فإذا كان هذا عرضها، فكيف بطولها؟ علم ذلك عند الله تعالى؛ وفي صحيح ابن حبان ومستدرك الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد،

---

(١) الحاكم: ١/ ١٥٤ (٢٧١)، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي؛ ورواه أحمد: ٣/ ١٦٤.

أرأيت جنة عرضها السماوات والأرض، فأين النار؟ فقال النبي ﷺ: « **أَرَأَيْتَ هَذَا اللَّيلَ الَّذِي قَدْ كَانَ أَلْبَسَ عَلَيك كَلَّ شَيْءٍ، أَيْنَ جُعِلَ؟** » قال: الله أعلم! قال: « **فَإِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ** »، ولفظ الحاكم: « **أَرَأَيْتَ اللَّيلَ الَّذِي قَدْ أَلْبَسَ كَلَّ شَيْءٍ، فَأَيْنَ جُعِلَ النَّهَارُ؟** »، قال: الله أعلم! قال: « **كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ** »(١).

* أبواب الجنة *

قال الله تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا ﴾ [الزمر: ٧٣]، وقال ﷻ: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴾ [الرعد: ٢٣].

وأبواب الجنة ثمانية: روى البخاري عن سهل بن سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: « **فِي الْجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ، فِيهَا بَابٌ يُسَمَّى الرَّيَّانَ، لا يَدْخُلُهُ إِلَّا الصَّائِمُونَ** »(٢).

وعند الشيخين من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال:

---

(١) صحيح ابن حبان (١٠٣)، والمستدرك (١٠٣) وصححه على شرطيهما، ووافقه الذهبي؛ وصححه الألباني في الصحيحة (٢٨٩٢).

(٢) البخاري (٣٢٥٧).

قال رسول الله ﷺ: « **مَنْ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَابْنُ أَمَتِهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ**»(١).

وروى الجماعة إلا البخاري عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ، فَيُبْلِغُ أَوْ فَيُسْبِغُ الْوَضُوءَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ**»(٢).

وروى الدارمي عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: « **لِلْجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ** »(٣).

وروى أحمد والطيالسي والدارمي والطبراني وابن حبان عن عتبة بن عبد السلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨).

(٢) أحمد ١/ ١٩، ومسلم (٢٣٤)، وأبو داود (١٦٩)، والترمذي (٥٥)، والنسائي (١٤٨) وابن ماجه (٤٧٠).

(٣) الدارمي (٢٨١٨).

«**الْقَتْلى ثَلاثَةٌ: رَجُلٌ مُؤْمِنٌ قَاتَلَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، حَتَّى إِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى يُقْتَلَ، فَذَلِكَ الشَّهِيدُ الْمُفْتَخِرُ، فِي خَيْمَةِ اللَّهِ، تَحْتَ عَرْشِهِ، لا يَفْضُلُهُ النَّبِيُّونَ إِلَّا بِدَرَجَةِ النُّبُوَّةِ؛ وَرَجُلٌ مُؤْمِنٌ قَرَفَ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا، جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، حَتَّى إِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ قَاتَلَ حَتَّى يُقْتَلَ، مُحِيَتْ ذُنُوبُهُ وَخَطَايَاهُ، إِنَّ السَّيْفَ مَحَّاءُ الْخَطَايَا، وَأُدْخِلَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شَاءَ، فَإِنَّ لَهَا ثَمَانِيَةَ أَبْوَابٍ، وَلِجَهَنَّمَ سَبْعَةَ أَبْوَابٍ، وَبَعْضُهَا أَفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ؛ وَرَجُلٌ مُنَافِقٌ جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، حَتَّى إِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى يُقْتَلَ، فَإِنَّ ذَلِكَ فِي النَّارِ، السَّيْفُ لا يَمْحُو النِّفَاقَ**»(١).

وينادى المؤمنون من أبواب الجنة، كل حسب عمله، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ نُودِيَ فِي الْجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ؛ فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاةِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ**

---

(١) أحمد: ٤/ ١٨٥، والطيالسي (١٢٦٧)، والدرامي (٢٤١١)، والطبراني في الكبير: ١٧/ ١٢٥ (٣١٠)، وابن حبان (٤٦٦٣).

الصَّدَقَةِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ » قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا عَلَى أَحَدٍ يُدْعَى مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ كُلِّهَا؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ** »(١).

وما بين كل مصراعين من أبواب الجنة ما يدل على اتساع هذه الأبواب، روى البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى**»، وفي رواية لمسلم: « **بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ** »(٢).

وروى أحمد ومسلم عن عتبة بن غزوان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: وَلَقَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ « **مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهَا يَوْمٌ وَهُوَ كَظِيظٌ مِنَ الزِّحَامِ** »(٣).

وروى أحمد عن معاوية بن حيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ

(١) البخاري (١٨٩٧، ٣٦٦٦)، ومسلم (١٠٢٧).
(٢) البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤).
(٣) أحمد: ٤/ ١٧٤، ومسلم (٢٩٦٧).

ﷺ قَالَ: « **أَنْتُمْ تُوفُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً، أَنْتُمْ آخِرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ** ﷻ؛ **وَمَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ عَامًا، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهِ يَوْمٌ وَإِنَّهُ لَكَظِيظٌ** »(١).

* بنيانها وملاطها وحصباؤها *

أما بناؤها فلبنة من ذهب، ولبنة من فضة، روى ابن أبي شيبة عن ابن عمرو رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ كيف هي؟ قال: « **مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَحْيَا لا يَمُوتُ، وَيَنْعَمُ لا يَبْأَسُ، وَلا تَبْلَى ثِيَابُهُ، وَلا يَبْلَى شَبَابُهُ** »؛ قيل: يا رسول الله كيف بناؤها؟ قال: « **لَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ، وَلَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، مِلاطُهَا مِسْكٌ، وَحَصْبَاؤُهَا اللُّؤْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ، وَتُرَابُهَا الزَّعْفَرَانُ** »(٢).

وروى أحمد والطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « **بِنَاءُ الْجَنَّةِ لَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَلَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ** »(٣).

وروى أحمد والترمذي والدارمي والطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنَا عَنِ الْجَنَّةِ، مَا بِنَاؤُهَا؟

---

(١) أحمد: ٥/ ٣. ورواه عبد بن حميد (٤١١)، وإسناده حسن.

(٢) ابن أبي شيبة (٣٣٩٥٥)، ورواه أبو نعيم في صفة الجنة (٩٢).

(٣) أحمد: ٢/ ٣٦٢، والطبراني في الأوسط (٢٥٣٢).

قَالَ: « **لَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَلَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ، مِلاطُهَا الْمِسْكُ الْأَذْفَرُ، حَصْبَاؤُهَا الْيَاقُوتُ وَاللُّؤْلُؤُ، وَتُرْبَتُهَا الْوَرْسُ وَالزَّعْفَرَانُ، مَنْ يَدْخُلُهَا يَخْلُدُ لا يَمُوتُ، وَيَنْعَمُ لا يَبْأَسُ، لا يَبْلَى شَبَابُهُمْ، وَلا تُخَرَّقُ ثِيَابُهُمْ** » لفظ أحمد[1].

وروى الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ جَنَّةَ عَدْنٍ وَبَنَاهَا بِيَدِهِ، لَبِنَةً مِنْ ذَهَبٍ وَلَبِنَةً مِنْ فِضَّةٍ، وَجَعَلَ مِلَاطَهَا الْمِسْكَ، وَتُرَابَهَا الزَّعْفَرَانَ، وَحَصْبَاءَهَا اللُّؤْلُؤَ، ثُمَّ قَالَ لَهَا: تَكَلَّمِي، فَقَالَتْ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: طُوبَى لَكِ مَنْزِلُ الْمُلُوكِ** »؛ ورواه البزار موقوفًا ومرفوعًا، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ورجال الموقوف رجال الصحيح، وأبو سعيد لا يقول هذا إلا بتوقيف.ا.هـ. ورواه الطبراني عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[2].

---

(١) أحمد: ٢/ ٤٤٥، والترمذي (٢٥٢٦)، والدارمي (٢٨٢١)، والطبراني (٧١١١).

(٢) الطبراني في الأوسط (٣٧٠١)، وأبو نعيم في الحلية: ٦/ ٢٠٤ عن××××× =××أبي سعيد، وانظر مجمع الزوائد: ١٠/ ٣٩٦،

* أنهار الجنة *

قال الله ﷻ: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمد: ١٥].

فالماء ليس كماء الدنيا يتغير إذا مكث؛ واللبن أنهار لم يخرج من ضرع، ولا يجري عليه تغير لبن الدنيا؛ والخمر خلقها الله في الجنة أنهارًا، لم تصنع من فاكهة، فهي لذة للشاربين، ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾ [الواقعة: ١٩].

روى أحمد والترمذي وصححه عن معاوية ابن حيدة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَحْرَ الْمَاءِ، وَبَحْرَ الْعَسَلِ، وَبَحْرَ اللَّبَنِ، وَبَحْرَ الْخَمْرِ، ثُمَّ تُشَقَّقُ الْأَنْهَارُ بَعْدُ**»(١).

قال الطيبي رحمه الله: خص هذه الأنهار بالذكر؛ لأنها أفضل أشربة

وحديث ابن عمر قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ١٠/ ٣٩٧: رواه الطبراني بإسناد حسَّنَ الترمذي لرجاله.

(١) أحمد: ٥/ ٥، والترمذي (٢٥٧١)، وقال: حسن صحيح؛ ورواه عبد ابن حميد (٤١٠)، والدارمي (٢٨٣١)، والطبراني في الكبير: ١٩/ ٤٢٤ (١٠٣٢)، وابن حبان (٧٤٠٩).

النوع الإنساني، فالماء لريهم وطهورهم، والعسل لشفائهم ونفعهم، واللبن لقوتهم وغذائهم، والخمر للذتهم وسرورهم؛ وقُدِّم الماء لأنه حياة النفوس، وثنى بالعسل لأنه شفاء، وثلث باللبن لأنه الفطرة، وختم بالخمر إشارة إلى أن من حرمه في الدنيا لا يحرمه في الآخرة(١).

* درجات الجنة *

روى أحمد والبخاري عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: « **مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا** »، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلا نُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ**

---

(١) نقلا عن (فيض القدير) للمناوي: ٢/ ٤٦٦.

الْجَنَّةِ»[(١)]، ورواه الترمذي وابن ماجه والطبراني في الكبير عن معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ نحوه[(٢)]. ورواه أحمد والترمذي عن عبادة بن الصامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بنحوه أيضًا[(٣)].

وروى أحمد والشيخان عن سهل بن سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: « **إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ الْغُرْفَةَ فِي الْجَنَّةِ كَمَا تَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ فِي السَّمَاءِ** »[(٤)].

وفي حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند الشيخين: «**كَمَا تَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ فِي الْأُفُقِ الشَّرْقِيِّ أَوِ الْغَرْبِيِّ** »، وزاد: « **لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ** »؛ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ؟ قَالَ: « **بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ**

---

(١) أحمد: ٢/ ٣٣٥، البخاري (٢٧٩٠، ٧٤٢٣).

(٢) رواه أحمد: ٥/ ٢٤٠، والترمذي (٢٥٢٩)، وابن ماجه (٤٣٣١)، والطبراني في الكبير: ٢٠/ ١٥٧ (٣٢٧).

(٣) حديث عبادة رواه أحمد: ٥/٣١٦، ٣٢١، والترمذي (٢٥٣٠)، والضياء في المختارة: ٨/ ٣٢٨ (٣٩٦)، وإسناده صحيح.

(٤) أحمد: ٥/ ٣٤٠، والبخاري (٦٥٥٥)، ومسلم (٢٨٣٠)، وابن حبان (٢٠٩).

آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ »[١]. ورواه أحمد والترمذي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنحو ذلك[٢].

* أعلى منزلة في الجنة *

أعلى منزلة في الجنة مكان يقال له: الوسيلة، لقربه من العرش، وهو مسكن رسول الله ﷺ من الجنة، روى أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ** »[٣].

* * *

(١) البخاري (٣٢٥٦)، ومسلم (٢٨٣٠، ٢٨٣١).

(٢) أحمد: ٢/ ٣٣٥، ٣٣٩، الترمذي (٢٥٥٦)، وقال: حسن صحيح.

(٣) أحمد: ٢/١٦٨، ومسلم (٣٨٤)، وأبو داود (٥٢٣)، والترمذي (٣٦١٤)، والنسائي (٦٧٨).

* صفة الجنة وبعض ما فيها من النعيم *

قال الله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الزخرف: ٧١]، وروى أحمد والشيخان وغيرهم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: « **قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، مِصْدَاقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ:** ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧] »، زاد أحمد ومسلم: « **ذُخْرًا، بَلْهَ مَا أَطْلَعَكُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ** »(١). ورواه أحمد ومسلم وأبو يعلى بنحوه عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٢).

وروى أحمد ومسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: « **مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ لا يَبْأَسُ، لا تَبْلَى ثِيَابُهُ، وَلا يَفْنَى شَبَابُهُ** »، زاد أحمد: « **إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا أُذُنٌ**

---

(١) أحمد: ٢/ ٣١٣، ٤٦٦، البخاري (٣٢٤٤، ٤٧٧٩، ٧٤٩٨)، ومسلم (٢٨٢٤)، والترمذي (٣١٩٧، ٣٢٩٢)، والنسائي في الكبرى (١١٠٨٥)، وابن ماجه (٤٣٢٨)، وغيرهم.

(٢) أحمد: ٥/ ٣٣٤، ومسلم (٢٨٢٥)، وأبو يعلى (٧٥٣٠).

سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ »(١).

وروى الشيخان عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن قال: قال رسول الله ﷺ: « **أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلِجُ الْجَنَّةَ صُورَتُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لا يَبْصُقُونَ فِيهَا، وَلا يَمْتَخِطُونَ، وَلا يَتَغَوَّطُونَ، آنِيَتُهُمْ فِيهَا الذَّهَبُ، أَمْشَاطُهُمْ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَمَجَامِرُهُمُ الْأَلُوَّةُ، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ، يُرَى مُخُّ سُوقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الْحُسْنِ، لا اخْتِلافَ بَيْنَهُمْ وَلا تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ، يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا** » لفظ البخاري، زاد غيره: « **أَخْلاقُهُمْ عَلَى خُلُقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَى طُولِ أَبِيهِمْ آدَمَ، سِتُّونَ ذِرَاعًا** »، وفي رواية: «**وَمَا فِي الْجَنَّةِ أَعْزَبُ**»(٢).

وروى أحمد ومسلم وأبو يعلى عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلا يَتْفُلُونَ وَلا يَبُولُونَ وَلا يَتَغَوَّطُونَ وَلا يَمْتَخِطُونَ** » قَالُوا: فَمَا

---

(١) أحمد: ٢/ ٣٦٩، ومسلم (٢٨٣٦).

(٢) البخاري (٣٢٤٥)، ومسلم (٢٨٣٤).

بَالُ الطَّعَامِ؟ قَالَ: « **جُشَاءٌ، وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ، كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفَسَ** »(١).

وروى أحمد ومسلم والترمذي عن أبي سعيد وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: « **يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلا تَبْأَسُوا أَبَدًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ** عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]»(٢).

وروى أحمد والشيخان عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: « **إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ، طُولُهَا سِتُّونَ مِيلا، لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ، يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُ فَلا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا** » لفظ مسلم(٣).

وروى ابن ماجه والبزار والطبراني وابن حبان عن أسامة

---

(١) أحمد: ٣/ ٣١٦، ومسلم (٢٨٣٥)، وأبو يعلى (١٩٠٦).

(٢) أحمد: ٢/ ٣١٩، ٣/ ٣٨، ٩٥، ومسلم (٢٨٣٧)، والترمذي (٣٢٤٦).

(٣) أحمد: ٤/ ٤١١، والبخاري (٤٨٧٩)، ومسلم (٢٨٣٨). وأبو يعلى (٧٣٣٢)، وابن حبان (٧٣٩٥).

ابن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ ذات يوم لأصحابه: « **أَلا مُشَمِّرٌ لِلْجَنَّةِ؟! فَإِنَّ الْجَنَّةَ لا خَطَرَ لَهَا، هِيَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ نُورٌ يَتَلأْلأُ، وَرَيْحَانَةٌ تَهْتَزُّ، وَقَصْرٌ مَشِيدٌ، وَنَهَرٌ مُطَّرِدٌ، وَفَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ نَضِيجَةٌ، وَزَوْجَةٌ حَسْنَاءُ جَمِيلَةٌ، وَحُلَلٌ كَثِيرَةٌ، فِي مَقَامٍ أَبَدًا، فِي حَبْرَةٍ وَنَضْرَةٍ، فِي دُورٍ عَالِيَةٍ سَلِيمَةٍ بَهِيَّةٍ** » قَالُوا: نَحْنُ الْمُشَمِّرُونَ لَهَا، يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: « **قُولُوا: إِنْ شَاءَ اللَّهُ** »؛ ثُمَّ ذَكَرَ الْجِهَادَ، وَحَضَّ عَلَيْهِ(١).

وروى أحمد ومسلم عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: « **إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ، فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ، فَيَزْدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالا، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدِ ازْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالا، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: وَاللَّهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالا، فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ وَاللَّهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالا** »(٢).

هذا غيض من فيض ما أعده الله تعالى من نعيم لعباده

---

(١) ابن ماجه (٤٣٣٢). ورواه البزار (٢٥٩١)، والطبراني في الكبير: ١/ ١٦٢ (٣٨٨)، وابن حبان (٧٣٨١).

(٢) أحمد: ٣/ ٢٨٤، ومسلم (٢٨٣٣).

المؤمنين أهل الجنة، ولولا أن منهجنا هنا على الاختصار لتوسعنا في وصف الجنة ونعيمها، ويكفي ما تقدم من قوله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾، وقوله ﷺ: «**قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ**»... اللهم إنا نسألك الفردوس الأعلى يا أكرم الأكرمين.

* النار دار الفجار *

الحديث عن النار تنخلع له القلوب، ويهتز منه الوجدان، وتذرف العيون، إنه حديث عن عذاب لا يطيقه أحد من الثقلين، ولا يحتمله أحد من المخلوقات؛ فاللهم أجرنا من النار.

* صفة مجيء النار يوم القيامة *

قال الله تعالى: ﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾ [الفجر: ٢٣، ٢٤]. روى مسلم والترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا**»(١).

(١) مسلم (٢٨٤٢)، والترمذي (٢٥٧٣).

* أبواب جهنم *

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٤٣ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ [الحجر: ٤٣، ٤٤]، وقد مر حديث عتبة بن عبد السلمي الذي رواه أحمد وابن حبان وغيرهما وفيه: « **وَلِجَهَنَّمَ سَبْعَةَ أَبْوَابٍ** ».

وروى أحمد والترمذي عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «**لِجَهَنَّمَ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ، بَابٌ مِنْهَا لِمَنْ سَلَّ السَّيْفَ عَلَى أُمَّتِي، أَوْ قَالَ: عَلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ**»(١).

* شدة حرها *

قال الله تعالى: ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة: ٨١]، وروى مالك وأحمد والشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « **نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ** »، قَالُوا: وَاللهِ، إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً، يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: « **فَإِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ**

---

(١) أحمد: ٢/ ٩٤، الترمذي (٣١٢٣)، وإسناده ضعيف، ويشهد للجزء الأول منه حديث عتبة السلمي.

جُزْءًا، كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا »(١)، وفي رواية لأحمد وابن حبان: « **وَضُرِبَتْ بِالْبَحْرِ مَرَّتَيْنِ، وَلَوْلا ذَلِكَ مَا جَعَلَ اللَّهُ فِيهَا مَنْفَعَةً لِأَحَدٍ** »(٢)، أي: نار الدنيا.

وروى مالك عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: أَتُرَوْنَهَا حَمْرَاءَ كَنَارِكُمْ هَذِهِ؟! لَهِيَ أَسْوَدُ مِنْ الْقَارِ. وَالْقَارُ: الزِّفْتُ(٣).

* في بعد قعرها *

روى أحمد ومسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا مع رسول الله ﷺ إِذْ سَمِعَ وَجْبَةً، فقال النبي ﷺ: « **تَدْرُونَ مَا هَذَا؟** »، قَالَ: قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ! قَالَ: « **هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا، فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الْآنَ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا** »(٤).

---

(١) مالك: ٢/ ٩٩٤ (١)، ومن طريقه البخاري (٣٢٦٥)، ومسلم (٢٨٤٣)؛ ورواه أحمد: ٢/ ٤٦٧، ٤٧٨، والترمذي (٢٥٨٩)، والدارمي (٢٨٤٢) من طرق أخرى به.

(٢) أحمد: ٢/ ٢٤٤. ورواه ابن حبان (٧٤٦٣)، وإسناده صحيح.

(٣) الموطأ: ٢/ ٩٩٤ (١٨٠٥).

(٤) أحمد: ٢/ ٣٧١، ومسلم (٢٨٤٤).

وروى الحاكم وصححه ووافقه الذهبي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **وَالَّذِي نَفْسِي مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ بَعْدَ قَدْرَ مَا بَيْنَ شَفِيرِ النَّارِ وَقَعْرِهَا كَصَخْرَةٍ زِنَتُهَا سَبْع خَلِفَاتٍ، بِشُحُومِهِنَّ، ولُحُومِهِنَّ، وَأَوْلادِهِنَّ؛ تَهْوِي فِيمَا بَيْنَ شَفِيرِ النَّارِ وقَعْرِهَا، إِلَى أَنْ تَقَعَ قَعْرَهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا** »، ورواه الطبراني بنحوه عن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(١)]. وخلفات: جمع خلفة، وهى الحامل من النوق.

وروى أحمد والترمذي عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: « **لَوْ أَنَّ رَصَاصَةً مِثْلَ هَذِهِ**- وَأَشَارَ إِلَى مِثْلِ الْجُمْجُمَةِ- **أُرْسِلَتْ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَهِيَ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ لَبَلَغَتِ الْأَرْضَ قَبْلَ اللَّيْلِ، وَلَوْ أَنَّهَا أُرْسِلَتْ مِنْ رَأْسِ السِّلْسِلَةِ لَسَارَتْ أَرْبَعِينَ خَرِيفًا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَ أَصْلَهَا أَوْ قَعْرَهَا** »[(٢)]. اللهم سلِّم سلِّم.

---

(١) الحاكم: ٤/ ٦٣٩ (٨٧٦٧)، وحديث معاذ رواه الطبراني في الكبير: ٢٠/ ١٦٩ (٣٦١).

(٢) أحمد: ٢/ ١٩٧، والترمذي (٢٥٨٨) وقال: إسناده حسن صحيح؛ ورواه الحاكم: ٢/ ٤٧٦ (٣٦٤٠)، وصححه.

* في حال أهلها وما فيها من ألوان العذاب *

اعلم- أجارني الله وإياك من النار- أن في النار ألوانًا وأشكالًا من العذاب، فطعام أهلها عذاب، وشرابهم عذاب، ولباسهم عذاب، وفراشهم عذاب، وغطاؤهم عذاب، قال الله تعالى: ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ﴾ [ص: ٥٧، ٥٨].

أما طعامهم: فالزقوم، وغسلين، وغساق، وضريع، وطعام ذو غصة. و**الزقوم** شجرة في النار، وهي الشجرة الملعونة في القرآن، وصفها الله تعالى فقال: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَـَٔاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ [الصافات: ٦٤- ٦٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ﴾ [الدخان: ٤٣: ٤٦].

وروى أحمد والترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم

مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الزَّقُّومِ قُطِرَتْ فِي دَارِ الدُّنْيَا لأَفْسَدَتْ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا مَعَايِشَهُمْ، فَكَيْفَ بِمَنْ يَكُونُ طَعَامَهُ؟!** »(١).

وأما **الغسلين**، فقيل: هو الزقوم، وقيل: صديد أهل النار، وقيل الدم والماء يسيل من لحومهم؛ قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول: كل جرح غسلته فخرج منه شيء، فهو غسلين، فعلين من الغسل من الجراح والدبر، وزيد فيه الياء والنون بمنزلة عفرين.ا.هـ، وذكره البخاري في صحيحه(٢).

وروى الحاكم وصححه ووافقه الذهبي عن أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ: ﴿بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ﴾ [الكهف: ٢٩]، قال: «**كَعَكَرِ الزَّيْتِ، فَإِذَا قَرُبَ إِلَيْهِ سَقَطَتْ فَرْوَةُ وَجْهِهِ فِيهِ، وَلَو أَنَّ**

---

(١) أحمد: ١/ ٣٠٠، ٣٣٨، والترمذي (٢٥٨٥)، والنسائي في الكبرى (١١٠٧٠)، وابن ماجه (٤٣٢٥)، وابن حبان (٧٤٧٠) والحاكم: ٢/ ٢٩٤، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

(٢) انظر (تفسير ابن جرير): ٢٩/ ٦٥؛ و (فتح الباري): ٦/ ٣٣١، في ترجمة باب (صفة النار).

دَلْوًا مِنْ غِسْلِين يُهْرَاقُ فِي الدُّنْيَا لأَنْتَنَ بِأَهْلِ الدُّنْيَا»[١].

وأما **الغسَّاق**، فيقال: عينه تغسق، أي: تسيل، والمراد في الآية ما سال من أهل النار من الصديد، رواه الطبري من قول قتادة، وإبراهيم، وعطية بن سعد، وغيرهم.

وقيل: الغسَّاق: البارد الذي يحرق ببرده، رواه- أيضًا- من قول ابن عباس، ومجاهد، وأبي العالية[٢].

قال أبو عبيد الهروي رَحِمَهُ اللَّهُ: من قرأه بالتشديد أراد السائل، ومن قرأه بالتخفيف أراد البارد. اهـ[٣].

وروى أحمد والترمذي وأبو يعلى والحاكم وصححه ووافقه الذهبي عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: « **لَوْ أَنَّ دَلْوًا مِنْ غَسَّاقٍ يُهَرَاقُ فِي الدُّنْيَا، لَأَنْتَنَ أَهْلَ الدُّنْيَا** »[٤].

وأخرج الطبري من حديث عبد الله بن عمر موقوفًا:

---

(١) الحاكم: ٢/ ٥٤٤ (٣٨٥٠) دار الكتب العلمية.

(٢) انظر (تفسير ابن جرير): ٢٣/ ١٧٧.

(٣) انظر (فتح الباري): ٦/ ٣٣١.

(٤) أحمد: ٣/ ٢٨، ٨٣، والترمذي (٢٥٨٤)، وأبو يعلى (١٣٨١)، والحاكم: ٤/ ٦٤٤ (٨٧٧٩).

الغساق: القيح الغليظ، لو أن قطرة منه تهراق بالمغرب، لأنتن أهل المشرق، ولو تهراق بالمشرق، لأنتن أهل المغرب(١).

وأما **الضريع**: فقال تعالى: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ [الغاشية: ٦، ٧]؛ قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والضريع عند العرب نبت يقال له: الشبرق، وتسميه أهل الحجاز الضريع إذا يبس، وهو سُمٌّ.ا.هـ(٢).

وقيل الضريع: الشوك من النار.

وأما قوله تعالى: ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ [المزمل: ١٣]، أي: وطعامًا يغص به آكله، فلا هو نازل عن حلقه، ولا هو خارج؛ وروى الحاكم عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾، قال: شوكًا يأخذ بالحلق، لا يدخل، ولا يخرج(٣).

وأما **شرابهم فحميم**، وهو الماء الحار، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ [الصافات: ٦٧]، وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ

---

(١) انظر (تفسير ابن جرير): ٣٠/ ١٤.

(٢) انظر (تفسير ابن جرير): ٣٠/ ١٦١.

(٣) الحاكم: ٢/ ٥٤٩ (٣٨٦٧)، وصححه، ووافقه الذهبي.

ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩]، وقال جَلَّ: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ [إبراهيم: ١٦، ١٧]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ [الحج: ١٩- ٢١].

روى أحمد والترمذي والحاكم عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وتلا قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾، فقال: سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إِنَّ الْحَمِيمَ لَيُصَبُّ عَلَى رُءُوسِهِمْ، فَيَنْفُذُ الْحَمِيمُ حَتَّى يَخْلُصَ إِلَى جَوْفِهِ، فَيَسْلِتُ مَا فِي جَوْفِهِ حَتَّى يَمْرُقَ مِنْ قَدَمَيْهِ، وَهُوَ الصَّهْرُ، ثُمَّ يُعَادُ كَمَا كَانَ**»(١).

وروى الترمذي من طريق قطبة بن عبد العزيز عن عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ شِمْرِ بْنِ عَطِيَّةَ، عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ، عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يُلْقَى عَلَى أَهْلِ النَّارِ الْجُوعُ، فَيَعْدِلُ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ الْعَذَابِ،**

---

(١) أحمد: ٢/ ٣٧٤، والترمذي (٢٥٨٢)؛ والحاكم: ٢/ ٣٨٧، وصححه، ووافقه الذهبي؛ وإسناده حسن.

فَيَسْتَغِيثُونَ فَيُغَاثُونَ بِطَعَامٍ مِنْ ضَرِيعٍ، لَا يُسْمِنُ، وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ؛ فَيَسْتَغِيثُونَ بِالطَّعَامِ، فَيُغَاثُونَ بِطَعَامٍ ذِي غُصَّةٍ، فَيَذْكُرُونَ أَنَّهُمْ كَانُوا يُجِيزُونَ الْغَصَصَ فِي الدُّنْيَا بِالشَّرَابِ، فَيَسْتَغِيثُونَ بِالشَّرَابِ، فَيُرْفَعُ إِلَيْهِمْ الْحَمِيمُ بِكَلَالِيبِ الْحَدِيدِ، فَإِذَا دَنَتْ مِنْ وُجُوهِهِمْ شَوَتْ وُجُوهَهُمْ، فَإِذَا دَخَلَتْ بُطُونَهُمْ قَطَّعَتْ مَا فِي بُطُونِهِمْ؛ فَيَقُولُونَ: ادْعُوا خَزَنَةَ جَهَنَّمَ، فَيَقُولُونَ: ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [غافر: ٥٠]؛ **فَيَقُولُونَ: ادْعُوا مَالِكًا، فَيَقُولُونَ:** ﴿يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾؛ **فَيُجِيبُهُمْ:** ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧] »؛ قَالَ الْأَعْمَشُ: نُبِّئْتُ أَنَّ بَيْنَ دُعَائِهِمْ وَبَيْنَ إِجَابَةِ مَالِكٍ إِيَّاهُمْ أَلْفَ عَامٍ؛ قَالَ: «**فَيَقُولُونَ: ادْعُوا رَبَّكُمْ، فَلَا أَحَدَ خَيْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ؛ فَيَقُولُونَ:** ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾؛ **فَيُجِيبُهُمْ:** ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٦- ١٠٨]؛ **فَعِنْدَ ذَلِكَ يَئِسُوا مِنْ كُلِّ خَيْرٍ، وَعِنْدَ ذَلِكَ يَأْخُذُونَ فِي الزَّفِيرِ وَالْحَسْرَةِ وَالْوَيْلِ**»(١).

---

(١) الترمذي (٢٥٨٦)؛ وروى الموقوف ابن أبي شيبة (٣٤١٢٩)،×××=

وأما **لباسهم**: فقال الله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾ [**الحج: ١٩**]، وقال تعالى: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [**إبراهيم: ٥٠**]؛ والسرابيل: القُمُص، جمع سربال، وهو القميص.

وأما **فراشهم وغطاؤهم**؛ فقال الله تعالى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [**الأعراف: ٤١**]، قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يقول جل ثناؤه: لهؤلاء الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها من جهنم مهاد، وهو ما امتهدوه مما يقعد عليه ويضطجع، كالفراش الذي يفرش، والبساط الذي يبسط؛ ﴿وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ وهو جمع غاشية، وذلك ما غشاهم فغطاهم من فوقهم؛ ومعنى الكلام: لهم من جهنم مهاد من تحتهم فرش، ومن فوقهم منها لحف، وإنهم بين ذلك. اهـ[(١)].

* * *

=×××وإسناده حسن، وابن جرير في تفسيره: ١٨/ ٥٩.

(١) انظر (تفسير ابن جرير): ٨/ ١٨٢.

* الناس في النار بحسب أعمالهم *

الناس في النار حسب أحوالهم وأعمالهم، روى مسلم عن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمع نبي الله ﷺ يقول: « **إِنَّ مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى حُجْزَتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى عُنُقِهِ** »(١).

وروى أحمد والترمذي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: « **تَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَهَا عَيْنَانِ تُبْصِرَانِ، وَأُذُنَانِ تَسْمَعَانِ، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ، يَقُولُ: إِنِّي وُكِّلْتُ بِثَلاثَةٍ: بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وَبِكُلِّ مَنْ دَعَا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ، وَبِالْمُصَوِّرِينَ** »(٢).

وروى أحمد والشيخان عن النعمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سمعت النبي ﷺ يقول: « **إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَرَجُلٌ تُوضَعُ فِي أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ، يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ** »؛ وفي رواية: «**إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، رَجُلٌ عَلَى أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ**

(١) مسلم (٢٨٤٥).

(٢) أحمد: ٢/ ٣٣٦، والترمذي (٢٥٧٤)، وقال: حسن غريب صحيح. اهـ. والبيهقي في الشعب (٦٣١٧).

جَمْرَتَانِ، يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ، كَمَا يَغْلِي الْمِرْجَلُ وَالْقُمْقُمُ»(١).

وروى أحمد والدارمي وابن حبان والحاكم وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ: « **أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا عَلَيْهِ نَعْلانِ، يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ** »(٢).

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: « **أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا رَجُلٌ فِي رِجْلَيْهِ نَعْلانِ، يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ، وَمِنْهُمْ فِي النَّارِ إِلَى كَعْبَيْهِ مَعَ إِجْرَاءِ الْعَذَابِ، وَمِنْهُمْ مَنْ فِي النَّارِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ مَعَ إِجْرَاءِ الْعَذَابِ، وَمِنْهُمْ مَنِ اغْتُمِرَ فِي النَّارِ إِلَى أَرْنَبَتِهِ مَعَ إِجْرَاءِ الْعَذَابِ، وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ فِي النَّارِ إِلَى صَدْرِهِ مَعَ إِجْرَاءِ الْعَذَابِ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَدِ اغْتُمِرَ فِي النَّارِ**»(٣).

هذا بعض ما أعده الله تعالى لأهل النار من عذاب، أجارنا الله منها، وزحزحنا عنها؛ هذا وفيما نطق به القرآن من الخبر عن

---

(١) أحمد: ٤/ ٢٧٤، والبخاري (٦٥٦١، ٦٥٦٢)، ومسلم (٢١٣).

(٢) أحمد: ٢/ ٤٣٢، والدارمي (٢٨٤٨)، وابن حبان كما في موارد الظمآن (٢٦١٧)، والحاكم: ٤/ ٦٢٤ (٨٧٢٩).

(٣) أحمد: ٣/ ١٣، ٧٨، وعبد بن حميد كما في المنتخب (٨٧٥)، والحاكم: ٤/ ٦٢٥ (٨٧٣٤).

الآخرة والجنة والنار ما فيه معتبر لأولي الأبصار.

* خاتمة *

هذا ما يسره الله الكريم في كتابة هذا الموضوع **(من مشاهد يوم القيامة)**، وما كان فيه من صواب فمن الله وحده، وله الحمد والمنة؛ وما كان فيه بخلاف ذلك فمني ومن الشيطان، وأستغفر الله العظيم منه.

وإني لأرجو أخًا استفاد منه أن يدعو الله لي ولوالدي ولمشايخي، وإن وجد فيه خطأ أو غلطًا أن ينبهني إليه، ويدلني عليه.

لكن قدرة مثلي غير خافية والنمل يعذر في القدر الذي حملا

والحمد لله أولا وأخيرًا، وصلى الله وسلم وبارك على النبي محمد وعلى آله.

* * *

فهرس الكتاب